

روائع المسرح العالمي

٤٤

الإله الكبير براون

تأليف : يوهين أونييل

ترجمة : جهالة العسري

مراجعة : دكتور محمود هاشم شوكيت

تقديم : درينجس هاشم

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

obeikandi.com

مقدمة

المسرح الأمريكى

ويوجين أونيل

اذ المسرح الأمريكى الذى أصبح اليوم من أقوى مسارح العالم ، ان لم يكن أقواها جميعا ولو من الناحية المادية .. لم يكن شيئا مذكورا قبل نصف قرن من الزمان .. واليك الوقائع المجردة التالية لنبين لك بها معالم الطريق فى تاريخ المسرح الأمريكى ، وبالأحرى فى تاريخ المسرحية الأمريكية التى تغزو العالم كله اليوم ، ولا سيما عن طريق السينما والتلفزيون بعد تحويلها الى أفلام صالحة للعرض فى هذين الوسيطين :

١ — كانت أول مسرحية أمريكية كتبها مؤلف أمريكى هى مسرحية جوستافوس فاسا لمؤلفها بنيامين كولمان وقد مثلت فى كلية هارفارد سنة ١٦٩٠ .

٢ — كانت أول مسرحية شهدتها مدينة نيويورك

١
٧
— عاصمة المسرح اليوم — هي مسرحية « الضابط
المرح » لمؤلفها جورج فاركوار (١٦٧٨ — ١٧٠٧) ،
كما كانت أول مسرحية تقدمها فرقة من المحترفين في أمريكا
الشمالية كلها وذلك في السادس من ديسمبر سنة ١٧٣٣ .

٣ — كانت أول مسرحية تطبع في أمريكا هي مسرحية
أندر وبوروس لمؤلفها روبرت هنتر وذلك في سنة ١٧١٤ .

٤ — كانت أول مسرحية يكتبها أمريكي وتقدمها فرقة
من المحترفين هي مسرحية « أمير پارثيا » لمؤلفها توماس
جودفري وقد أخرجت سنة ١٧٦٥ .

٥ — كانت أول كاتبة مسرحية أمريكية استخدمت
المسرحية لأغراض سياسية تهكمية ساخرة هي شارلوت
لينوكس (١٧٣٠ — ١٨٠٤) .

٦ — كان رويال تايلر R. Tyler (١٧٥٧ — ١٨٣٦)
هو أول كاتب أمريكي يؤلف أول مسرحية في موضوع
أمريكي بحث يمثل على مسرح أمريكي .

ونلاحظ أن هذه كلها كانت محاولات وخطوات بدائية
متعثرة أخفقت كلها في سبيل خلق مسرح أمريكي جدى
أو مسرحية أمريكية راسخة الدعائم . وقد تمت كلها في القرنين
السابع عشر والثامن عشر .

أما القرن التاسع عشر — وهو القرن الذى حدثت فيه أحداث المخاض لمسرحنا العربى — فلم يكن أسعد حظا من القرنين السابقين ، وإن كتبت وأخرجت فيه مسرحيات كثيرة : واليك أيضا تلك الوقائع المادية الصرفة التى تعد من معالم الطريق فى تاريخ المسرح الأمريكى فى هذا القرن :

١ — كان ادوين فورست E. Forrest (١٨٠٦ — ١٨٧٢) الممثل والمدير التمنى الأمريكى أول من شجع الكتاب الأمريكين على التأليف للمسرح وذلك بوضعه أول مسابقة فى المسرح الأمريكى لمنح الجوائز على أحسن المسرحيات التى تكتبها أقلام أمريكية .. وكان يخرج ويمثل المسرحيات الفائزة ، مما شجع حركة التأليف المسرحى فى أمريكا .. وكان عمله العظيم فى هذا الصدد تاريخا للمسرحية الأمريكية الحقيقية .

٢ — وقد كان من نتائج الخطوة التى خطاها ادوين فورست الى ظهور نجوم فن التأليف المسرحى فى مدينة فيلادلفيا ، والذين أصبحت جماعتهم أو مدرستهم تشتهر بهذا الاسم ، وفى مقدمتهم روبرت كونراد (١٨١٠ — ١٨٥٨) وروبرت بيرد وچورج هـ . بوكر وچون أوجستس ستون .

٣ — كانت ملهامة « الطراز Fashion » بقلم الكاتبة
 آثا كورا موات Mowatt التي أخرجت سنة ١٨٤٥ أول ملهامة
 أمريكية اجتماعية ساخرة نالت نجاحا كبيرا .

٤ — كان ديون بوسيكولت (١٨٢٢ — ١٨٩٠)
 وچون بروجام (١٨١٤ — ١٨٨٠) أعظم كاتبين وممثلين
 أمريكيين محبوبين قبل بزوغ نجمى الكاتبين أوجتين دالى
 (١٨٣٨ — ١٨٩٩) وأوجتس توماس (١٨٥٩ — ١٩٣٤) .
 وكان بوسيكولت يقتبس الكثير من المسرحيات الفرنسية كما
 كان يخرج روائع انجليزية كثيرة .

٥ — وكان أوجتين دالى زعيما لكتاب لون جديد من
 الميلودراماة الأمريكية الناجحة التي لا يزال لها طابعها في
 المسرح الأمريكى بعامة .

٦ — وفي سنة ١٨٦٦ ظهرت أول الهزليات الموسيقية
 الصاخبة وأشهرها جميعا وهى هزلية « اللص الأسود
 The Black Crook » التي كانت تشتمل على فرقة باليه وتمييض
 بالمنظر الخلافة وقد عادت على مخرجها بمليون دولار ..
 ومن ثمة انحرفت بالمسرح الأمريكى الى الناحية المسادية
 الصرفة .. وأصبح الايراد هو كل شيء في نظر الكتاب
 والمخرجين وأصحاب المسارح على السواء .. وكان تمثيلها

يستغرق خمس ساعات متواصلة . والمرحية بقلم تشارلز
م . بارس .

٧ — ولم تقتصر الناحية التجارية على أمثال هذه
الهزليات الموسيقية أو الـ Extravaganza فقط بل شملت
أيضا الميلودرامات العنيفة التي كان من زعمائها ألبرت
م . پالمر وستيل ماكاي وأوجستس توماس .

٨ — ومن مظاهر هذا القرن المسرحية أيضا حفلات
المنشدين الزوج المسرحين الذين كانوا يجوبون أطراف
الولايات الجنوبية حيث كانوا يقدمون عروضهم الانشادية
الغنائية (Minstrel Shows) التي تطورت الى تلك المقارعات
الهجائية الساخرة يقوم بها ممثلون من البيض بعد عمل
مكياج أسود ليسخروا بالزوج ولهجاتهم الكلامية .. وسرى
أن أونيل قد قاوم هذد الساخر بدفاعه عن الزوج ، ومطالبته
لهم بالمساواة التامة بينهم وبين البيض .

أما في القرن العشرين ..

١ — فقد ظهرت في العقد الأول منه طليعة من الكتاب
مهدت الطريق لقيام مسرحية قومية أمريكية خالصة اتخذت
لموضوعاتها مشكلات تلك الأمة الجديدة التي أخذت تمتد

وتقييم حياة جديدة في ذلك العالم الجديد .. ففى سنة ١٩٠٦
يعطينا الشاعر والكاتب المسرحى وليم فوغان مودى (١٨٦٩ -
١٩١٠) مسرحيته العظيمة : « الانفصال الكبير
The Great Divide » التى عالج فيها مشكلة التقرب
بين شطرى الولايات المتحدة المتباعدين : أو بين شرقها
وغربها ، وادماج أهاليهما فى كتلة أو أمة أمريكية متجانسة
بحيث يسبق أهالى كل من الشطرين عادات وتقاليد ووسائل
حياة الشطر الآخر ، وكل منهما مختلف عن أخيه عقائد
وأفكارا وأهدافا .

وفى سنة ١٩٠٦ ، أيضا صور الكاتب المسرحى الناشئ
تشارلز كلين Klin (١٨٦٧ - ١٩١٥) وجهة نظر الرئيس
الأمريكى تيودور روزفلت فيما أشار به من التحكيم العرفى
فيما ينشب من منازعات بين العمال وأصحاب العمل وذلك فى
مسرحيته بنات الناس أو Daughters of Men .

وفىها أيضا ظهرت مسرحية الكاتب جورج هـ .
برودهرست (١٨٦٦ - ١٩٥٢) : رجل الساعة - التى
يصور فيها مساوىء الطرق المريبة المتبعة فى حكومات المدن
المحلية .

وفىها أيضا ظهرت مسرحية الكاتب الفكاه لاندون

١ . متشل (١٨٦٢ — ١٩٣٣) المسماة « الفكرة النيويوركية » وهى ملهاة لطيفة عن الطلاق عدت أحسن ملهاة اجتماعية فى بابها .

وفى سنة ١٩٠٨ ظهرت مسرحية : « أسهل الطرق The Easiest way » للكاتب يوجين وولتر (١٨٧٤ — ١٩٤١) يهاجم فيها التحلل الأخلاقى وحياة المخاللة التى تحياها بعض النساء بين رجلين أو أكثر .

٢ — وفى هذا الوقت أيضا أخذت شهرة ابسن وشو تعبر المحيط الى أمريكا .. أما ابسن فقد أثنى عليه الكاتب هاريسون جراى فكه H. G. Fiske بوصفه رسول الحق والصدق المنتظر ، بينما ذمه الكاتب وليم وتتر ونعى عليه بوصفه « الشر الويل الذى يجب أن يستعاذ منه ! » بينما وصف النقاد الأمريكيون مستر جورج برنرد شو بأنه كاتب « منحط ومنحل وفاسد الأخلاق ! » ولعل لمسرحيات شو الأولى أثرا فى اصدار هذا الحكم !

٣ — ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فصرفت الأذهان عن هذه التباشير المسرحية المرجوة الى حين ، وان ظفرت المسرحيات الموسيقية التى تحفل بعروض الجنود والجيشوش المتدفقة الى ساحات الحرب باقبال شديد .

٤ — فاذا وضعت الحرب أوزارها عادت الحياة الى المسرح الجدى ، وأخذت الواقعية تغزو المسارح وتعرض على المتفرجين صورا من الحياة الأمريكية العملية . غير مبقية على شىء فى تلك الحياة الا صورته تصويرا فتوغرافيا .. فظهرت مسرحيات عن دنيا الصحافة .. وعن الحياة فى برودواى حى المسارح .. وعن النوادى الليلية .. وعن المواخير ودور الفساد وأمكنة اللهو البوهيمية .

٥ — ولا ننظم هذه الفترة .. فقد ظهرت الى جانب هذا الفساد كله ملامد ظريفة جدية . كما لمعت أسماء كتاب أماجد كان منهم كثيرون يكتبون بالاشترك مع كاتب آخر أو كاتبة أخرى .. فهذا آندرسون يكتب بالاشترك مع ستولنجس : « ما أفدح ثمن المجد » — أو : What Price Glory
عن الحرب العظمى الأولى . وهذا كوفمان يكتب مع كونللى عددا كبيرا من المسرحيات الشائعة ، ويكتب مع هارت عددا آخر — كما يتعاون الكاتبان وولترز وهوبكنز .

٦ — وتظهر كفايات كاتبة أخرى فى مقدمتها الكاتب الكبير المرريس (١٨٩٢ — ٠) وچورچ م . كوهان (١٨٧٨ — ١٩٤٢) وفرانك كرافن (١٨٨٠ — ١٩٤٥) والكاتبة الموهوبة راشيل كروثرز (١٨٧٨ — ٠) والكاتبة العبقرية

آن نيكولس (١٨٩٥ - ٠) . ولا نسى أيضا الكاتب اللبق
فيليب بارى (١٨٩٦ - ١٩٤٩) .

٧ - ومن المعالم الكبرى التي تميزت بها هذه الفترة
(الاعدادية !) في تاريخ المسرح الأمريكى ظهور شخصية
جورج بيرمس بيكر (١٨٦٦ - ١٩٣٥) ذلك المعلم والمؤلف
وأستاذ فن الكتابة المسرحية في مدرسة الدراما أو معمل ٤٧
(The 47 Workshop) بجامعة هارفارد ، أو هارفارد ٤٧ -
ورقم ٤٧ هذا هو رقم القسم في (كاتالوج الجامعة)
أو English 47 - وكان بيكر يقوم بتدريس اللغة الانجليزية
ومادة التأليف والنقد المسرحى في هذا القسم من سنة ١٩٠٥
حتى سنة ١٩٢٤ ويرجع اليه الفضل فى رفع مستوى الكتابة
المسرحية بين شباب المؤلفين الأمريكين . وقد نبغ من تلامذته
عدد كبير من الكتاب الذين بهرونا بمسرحياتهم - نذكر
منهم سدننى هوارد (١٨٩١ - ١٩٣٩) وادوارد شلدون
(١٨٨٦ - ١٩٤٦) وچوزفين برستون بيبودى
(١٨٧٤ - ١٩٢٢) وفيليب بارى و س . ن بهرمان
(١٨٩٣ - ٠) .. وچورچ أبوت أو مولير الجديد
(١٨٨٧ - ٠) وچون ويثر (١٨٩٣ - ١٩٣٨) .. الخ .
ومن أشهر كتب بيكر : تكنيك التأليف المسرحى . وكان نجاح

القسم الذى يرأسه فى جامعة هارفارد لتعليم أصول الكتابة للمسرح حافظا كبيرا لانشاء أقسام على غرارها فى الجامعات الأمريكية الأخرى ، بل انشاء معاهد ومدارس مستقلة لتعليم هذه المادة .

٨ — ولما كان عدد المسارح فى أمريكا فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عددا كبيرا وآخذا فى الازدياد يوما عن يوم ، ولما كانت المسرحية الأمريكية — وبالأحرى التى يكتبها مؤلفون أمريكيون من القلة بحيث لا تسد حاجة تلك المسارح .. فقد كان جل اعتماد المخرجين على المسرحيات الواردة من أوروبا .. ومن هنا نشطت حركة الترجمة من الفرنسية والألمانية وعن لغات أخرى .. هذا .. مع نشاط حركة استدعاء الفرق التمثيلية الأوربية المشهورة واستضافتها لتقدم برامج كاملة من تمثيلياتها وفنونها المسرحية فى المدن الأمريكية المختلفة والتى يقع معظمها على الشاطئ الشرقى من الولايات المتحدة .. مما كان له أثره فى تطوير المسرح الأمريكى ، والسير به قدما الى مستقبله الموعود .

٩ — أما المسرح الأمريكى نفسه من حيث ناحيته المادية فلا يفوتنا أن نذكر أنه كان شيئا ينظر إليه بعين الارتياب فى الولايات الشمالية ولا سيما نيو انجلند التى كانت تخضع

لتقاليد الطهرين وآداب سلوكهم .. ومن ثمة فرضت الأحكام والقوانين الصارمة للرقابة المسرحية والأخذ بخناق المثليين ودور التمثيل هناك .. وكان هذا من الأسباب التي جعلت الولايات الجنوبية هي البيئة الحقيقية الطبيعية لنشوء المسرح الأمريكى وتطوره .. ولا سيما في مستعمرات فرجينيا وكارولينا مما يحسن الرجوع اليه في المطولات التاريخية التي لا يتسع المقام هنا لاستعراض ما فيها . وحسبنا هنا أن نشير الى أن الولايات الشمالية لم تنشط الى تشجيع الحركة المسرحية الا بعد سنة ١٨٦٠ حيث قامت الاتحادات الاحتكارية المسرحية التي تهدف الى استغلال المسرح استغلالا تجاريا بحثا غير حافلة بالنواحي الفنية أو الأهداف الأدبية أيا كانت .. ومن ثمة راجت الهزليات والهزليات الموسيقية والتمثيلات الاستعراضية الراقصة الصاخبة التي تضمن أقبال الجماهير الحاشدة .. كما راجت الميلودرامات والمسرحيات الرومنسية التي تستهوى أفئدة هذه الجماهير .

١٠ — ولا بد هنا من ذكر كلمة مختصرة عن حى برودواى .. حى المسارح فى مدينة نيويورك .. أو الحى الذى أصبح عاصمة مسرحية لأمريكا كلها ، وهو الحى الذى يشبه فى لندن حى وست اند ويشبه عندنا شارع عماد الدين عندما

كانت تتركز فيه أضواء المسرح : انه الشارع المسمى بهذا الاسم في مدينة نيويورك والشوارع المتفرعة عنه والقريبة منه .. وقد مثلت فيه مسرحية الضابط المرشح التي أشرنا إليها آنفا سنة ١٧٣٢ .. ثم أخذت المسارح تنشأ فيه وتآوى إليها الفرق المسرحية التي من أشهرها : واشنطن سكوير بليزرز (١٩١٤) والذي تطور فأصبح مسرح الجيلد وفرقة : The Theatre Guild (١٩١٩) . وقد قامت فرق ومسارح أخرى لمحاربة سلطان مسارح برودواي الجائر ومحاولة خلق فن مسرحي رفيع (غير تجاري) فكان في مقدمتها فرقة البروفنتون بليزرز The Provincetown Players التي اكتشفت يوجين أونيل ومثلت مسرحياته الأولى — وقد أنشئت سنة ١٩١٦ ، ثم فرقة النيهرود بليهورس The Neighborhood Playhouse التي أنشأها نفر من الهواة سنة ١٩١٥ . ثم فرقة سفاك ريبورتري ثيتر Civic Repertory Theatre (١٩٢٦) .

وبعد .. فهذه صورة سريعة مضغوطة لتحويلات المسرح الأمريكي في ثلاثة قرون .. وهذه هي الخلفية التي نما فيها هذا النجم الجديد يوجين أونيل (١٨٨٨ — ١٩٥٣) ولم يلبث أن لمع وتألأ حتى أصبح أكبر كاتب مسرحي أنجبته

أمريكا ، بل أصبح الكاتب ذا الشهرة العالمية والذي غزت مسرحياته دور التمثيل وشاشات السينما في العالم كله ، والذي أصبح موضوعا لدراسات ضافية يكتب عليها المتأدبون وأئمة الثقافات العليا في جميع المحافل الأدبية وأندية الفكر.. ولكي نضع بين يدي القارئ صورة سريعة ومضغوطة لحياة أونيل وانتاجه المسرحي ، على نسق تلك الصورة السريعة المضغوطة التي قدمناها عن المسرح الأمريكي نفسه .. نبادر فنثني الشناء كله على المقدمتين البديعتين اللتين كتبهما أخوان كريمان في العديدين الرابع والعشرين والتاسع والثلاثين من سلسلة هذه المسرحيات العالمية عن أونيل .. ثم نمضي على طريقتنا في هذه المقدمات فنخلص حياة أونيل .. تلك الحياة التي هي المصدر الأول لموضوعاته المسرحية .. ونكتب بعد هذا عن أساتذته ومن أثروا فيه . بل الذين وجهوه وجهته الفنية والفكرية .. ثم نقدم خلاصات سريعة لأشهر مسرحياته لتوضيح أثر أكبر أساتذته فيه ، وفي هذه المسرحيات بالذات . ثم نختم كلامنا عن أونيل بعرض سريع لهذه المسرحية وما ابتدعه فيها من بدعة تلك الأقتعة التي تجعل كل شخصية تتكلم كلامين ، وتفكر بعقلين ، وتهيم فوق خشبة المسرح

بروحين .. شأن أوويل في كثير من مسرحياته التي كان يسبر
بها أغوار النفس الانسانية .

ولعل أكثر قراء هذ السلسلة يعرفون مما قرأوا فيها عن
أوويل أنه ابن الممثل الرومى المشهور جيمس أوويل
(١٨٤٧ — ١٩٢٠) ، وأنه ولد في منزل بائس في حي
برودواى بنيويورك من أم لم تشتغل بالتمثيل قط كما يظن
بعضهم ؛ وأنه قضى طفولته المشردة بحكم عمل أبيه مطوفا
بأرجاء الولايات المتحدة الأمريكية .. منتقلا بين مدنها وقراها
حيث كان والده يشترك في التمثيل مع فرقته الجواله ليقوم
بأدوار البطولة في كثير من مسرحيات شيكسبير ولا سيما
هاملت ودير وعطيل وماكبث ، ثم في تمثيلية ألكسندر ديما
الرومسية الخيالية الخالدة الكونت دى مونت كريستو ،
حيث كان يضطلع بدور البطولة فيها .. وحيث كانت تفتن
جمهور النظارة الأمريكى فتنة بالغة وتأتى للفرقة بإيراد كبير
ضخم كلما أعوزها الإيراد الكبير الضخم ، وكلما وقعت في
ورطة مالية لاختفاق بعض المسرحيات الأخرى .. وقد قضت
هذه الحياة المتنقلة ألا يتلقى الطفل يوجين الا تعليما ممزقا
وثقافة سطحية يقوم له بهما معلمون خصوصيون أو في
مدارس خاصة اذا أتاحت له فرصة الالتحاق بها .. ثم هيا

له القدر الالتحاق بجامعة پرنتون فلم يمكث بها غير عام واحد لأنه كان طالبا خائبا . ولهذا أشركه أبوه في فرقة حيث كان يعهد اليه ببعض الأدوار الصغيرة وبعض الأعمال الادارية .. ومن هنا اختلط يوجين بالممثلين والممثلات .. وعرف الليالى الحمراء .. وجرفته أمواج الظلام فعب من مفاتها حتى شبع .. وان ساعات صحته وكان أخوه چامى قائده في ذلك؛ على أن خيبة يوجين في الجامعة كانت خيرا عليه وبركة .. لقد تنبه فيها الى نعمة القراءة فنفذ من بابها الواسع الى روائع القصص العالمى .. لقد التهم قصص كونراد ونوريس وريد وچاك لندن ولويس وغيرهم وغيرهم ممن سنحدثك عنهم وعن أثرهم فيه بعد قليل .. وقرأ بعد ذلك ما كان يرد الى أمريكا من القصص الروسى والفرنسى والانجليزى .. ثم هو لم يهمل الاطلاع على آخر تطورات تلك الثورات الفكرية في عالم النفس والاقتصاد وقضايا الأجناس البشرية المضطهدة .. ثم ما يجرى في المسرح الأوروبى بين عاهليه الكبيرين : ابنس النورويجى ، وسترنديج السويدى .. وقد اجتذبه الكاتب السويدى فغاص معه في بحره ، ولو لم تكن له شخصيته القوية المستقلة لتلاشى فيه .. والذين تفوتهم هذه الحقيقة يفوتهم مفتاح يوجين أونيل الذهبى .. ولهذا أوصى القارئ

بأن يذكر سترندبرج دائما وهو يدرس يوجين ؛ انه شيخ
أساتذته جميعا ، وان كان من بينهم قدكند وهاوپتمان
الألمانيان .

واستطاع يوجين الصغير أن يصل الى منصب مساعد المدير
الادارى للمرح قبل أن يضيق بمسرح أيه .. وبفن أييه
أيضا ..

لقد هدته قراءاته واطلاعه على قصص المذهبين الواقعي
والطبيعي ، وما يجيء من أوروبا من رياح ماركس وفرويد ،
وفن ابسن وسترندبرج وقدكند وهاوپتمان .. ثم تولتوى
وجوركى . أن أباه يندفع بقوة القصور الذاتى فى تيار
الرومنسية المضحكة التى تمثلها مسرحية هذا الكونت
دى مونت كريستو .. لكن يوجين لا يدرى ماذا يفعل ..
والذى قدر عليه هو ترك مسرح أيه .. ثم الضرب فى أرجاء
الدنيا الواسعة ليختلط بالناس ويدرس موكب الانسانية فى
صوره المختلفة .. وفى ثلاث قارات .. وفى ألف بيئة وبيئة ..
يختزن التجارب ، ويراكم المشاهدات والملاحظات . وكان لابد
له من عمل ليعيش ، فلم يبال أن يلتحق بوظيفة مساعد لمهندس
ذهب الى هندوراس الأسبانية للبحث عن الذهب فى أحد
مناجمه .. لكنه مرض بعد أشهر قلائل فعاد الى بلده للعلاج ،

ولم يكده يشفى حتى التحق بوظيفة مساعد لمدير فرقة مسرحية
جواله طاف معها القسم الشرقى من الولايات المتحدة ووسط
القسم الغربى منها .. ثم زهد هذا العمل المسرحى فعمل بحارا
على سفينة نورويجية كانت تعمل على خط ملاحى بين بوسطن
ويونس أيرس عاصمة الأرجنتين . وفى خطاب منه الى الناقد
الأمريكى باريت كلارك — مؤلف أحسن كتاب عن يوجين
أونيل ، يقول : « .. وفى الأرجنتين اشتغلت فى أعمال
مختلفة .. منها وظيفة كتابية فى شركة وستجهوس الكهربائية
وظيفة أخرى فى إحدى شركات الصوف .. ثم فى وظيفة نالئة
بشركة سنجر لماكينات الخياطة .. ثم عدت الى البحر لأرعى
البغال ، والماشية المشحونة من يونس أيرس الى دربان فى جنوب
أفريقيا .. وبالعكس .. ثم تلو هذا فترة طويلة قضيتها فى
عزلة واملاق على شاطئ البحر فى عاصمة الأرجنتين اضطرت
بعدها الى العمل كبحار عادى فى باخرة بريطانية تعمل بين
يونس أيرس ونيويورك .. وكانت آخر وظائفى بالبحار عملى
بوظيفة بحار كفاء مقتدر على خط بريطانى بين نيويورك
وسوثمبتن .. وفى الشتاء التالى عدت الى فرقة أبى المسرحية
لألب دورا فى مسرحية ديماس : الكونت دى مونت كريستو ،
وكانت الفرقة تقوم بجولة تمثيلية فى أقصى غربى الولايات

المتحدة .. ثم تركت فرقة أبي لأعمل مخبرا صحفيا .. وأخيرا
انهارت قواى واعتلت صحتى .. وشعرت بالداء الويل ينخر
رئتي .. فأويت الى أحد المستشفيات الصدرية حيث انطويت
على نفسى ستة أشهر أفكر فيما يأتى به الغد .. ولقد كانت
هذه العزلة الاضطرارية هى الفترة التى رأيتنى أفكر فيها
— أول ما فكرت — فى الكتابة . وفى الخريف التالى — وكنت
فى الرابعة والعشرين — بدأت أكتب أولى مسرحياتى :
« العنكبوت The Web » التى تعالج حياة احدى البغايا التى
تعيش فى حماية أحد عشاقها . وهو يقول عن هذه المسرحية :
« لقد كنيتهما وأطياف أساتذى الذين قرأت لهم وتأثرت
بهم ترقص فى خيالى ! » فمن هم هؤلاء الأساتذة ، وكيف
تأثر بهم أونيل ؟ لقد كان منهم :

١ — جوزيف كونراد (١٨٥٧ — ١٩٢٤) الكاتب
البولندى الذى تعلم الانجليزية وراح يكتب قصصه البحرية
بها ، والتى جذبت أنظار جماهير القراء الانجليز اليها ، لالتزامه
فيها الأسلوب الواقعى ووصف حياة العاملين بالبحار والمتصلين
بهم وصفا دقيقا جذابا ، محللا تلك العوامل التى تدفع هؤلاء
المساكين الأقوياء الى العسل ، ومحللا غرائزهم وأخلاقهم
الطبيعية تحليلا جميلا خاليا من الكلفة .

٢ — هارى سنكلير لويس (١٨٨٥ — ١٩٥١) القصاص
الأمريكى الذى لم يشتهر الا بعد سنة ١٩٢٠ ومع ذلك فقد
فتن أونيل بقدرته على وصف أخلاق أهالى المدن الأمريكية فى
وسط الغرب وما يتسمون به عادة من نفاق وخيلاء وتعصب
دينى .. ولا سيما رجال الأعمال منهم ورجال اللاهوت
الپيرو، وتنتت ممن كان يشويهم بسخريته اللاذعة وقفشاته
البديعة الحلوة التى تأثر فيها بأسلوب أستاذه وأستاذ أونيل
نفسه : هنرى لويس منكن .

٣ — ه . ل . منكن H. L. Mencken (١٨٨٠ —
١٩٥٦) الصحفى والناقد الأدبى وكاتب الرسائل الأمريكى
المشهور وفاضح المناققين ، والأغبياء وأهل الخيلاء والمتطهرين
والمتمسكين بالتقاليد الفكتورية الزائفة المتكلفة
والبورجوازيين المتعطسين الذين كان يسميهم الـ
boobs أو الحمقى الأغبياء الذين لا أحلام لهم .. وقد أثر منكن فى
أسلوب النشء من الكتاب الأمريكين وبالتالي فى أساليب
جميع الكتاب الأمريكين ولا سيما الأسلوب الصحفى ولا نغالى
إذا قلنا ان له مدرسته الصحفية فى مصر أيضا .

٤ — چاك لندن J. London (١٨٧٦ — ١٩١٦)
القصاص والصحفى الجوال الأمريكى المشهور وصاحب

قصص المغامرات العنيفة ولا سيما في أقصى الشمال وفي البحار
الجنوبية ، وكان متأثرا تأثرا شديدا بأفكار كارل ماركس
وبالفيلسوف نيتشه ، وكان شديد العطف على الفقراء كثير
التنبؤ بثورة اشتراكية تقوم على اثرها حكومة عالمية تتولى
مقاليد الحكم في العالم . وقد كان أثر لندن في أونيل أثرا
عميقا بل جذريا .. اذ كان يجد في حياته مشابه كثيرة تلتقى
وما مر به هو في حياته الأولى .. من سلوك سائب منحل ،
واحتراف مهن حقيرة فوق ظهور السفن الى أقاصى البحار
الشمالية (الى ألاسكا حيث الباحثون عن مناجم الذهب
أيضا ..) .. وقد انضم الى الحزب الاشتراكي ولم يلبث أن
استقال منه سنة ١٩١٦ .. بعد أن أصبح غنيا ضخما الايراد
بسبب قصصه وكتبه .

٥ - فرانك نوريس F. Norris (١٨٧٠ - ١٩٠٢)

القصاص والصحفى الأمريكى والذى كان يحتذى مثال اميل
زولا في قصصه الطبيعية وغرامه بمعالجة حياة الفقراء والحقراء
وحوالة القطيع البشرى وتصوير عللهم الاجتماعية والمادية ..
ومن ثمة تلك السمة من التساؤم والايمان بالحتية المطلقة
أو الجبر الذى لا حيلة للانسان فيه .. مما نلاحظه في مسرحيات
أونيل .

٦ — جون ريد J. Reed (١٨٨٧ — ١٩٢٠) الصحفى والممثل والمؤلف الأمريكى الاشتراكى المعروف بتشجيعه للأراء المتطرفة وعطفه على ثورة ١٩١٧ الروسية وقد كان من منشئى أول حزب اشتراكى أمريكى وله كتب كثيرة يعجب بها الروس ويجلونها وقد توفى فى باكو سنة ١٩٢٠ ودفن فى الكريملين .. وقد عرفه أونيل حينما كان يمثل فى مسرحياته بفرقة البروقستون پلييرز وتأثر به لكنه لم يجاره فى تطرفه .. وخيرا فعل .

٧ — فرانك فكدند (ودكند F. Wedekind) (١٨٦٤ — ١٩١٨) الكاتب المسرحى الألمانى الجرىء الذى يعد فى نظر الكثيرين رائد المذهب التعبيرى .. والذى كانت مسرحياته حول الأمور الجنسية الشاذة تثير الرأى العام وتسبب القلق لكاتبها فى دوائر الحكومة الألمانية .. وأستاذنا جون جاسنر يشتد فى نفى تأثر أونيل بتعبيرية فكدند ، بل يعلو فيقول ان أونيل قد اهتمدى الى المذهب التعبيرى دون أن يعرف شيئا عن التعبيرية الألمانية .. وهذه مبالغة لا ندرى كيف وقع فيها الأستاذ الجليل مع وجود أوجه شبه صارخة بين كثير من مسرحيات الكاتبين الكبيرين .. وبصرف النظر عن هذا فقد تعلم أونيل من السنة التى قضاها فى جامعة پرنتون ، ثم من

السنة التي قضاها في مدرسة بيكر رقم ٤٧ شيئاً كثيراً عما كان يجري في المسرح الأوربي من ثورات فكرية هي بلا شك ثورات انقلابية .. وحسبه أن يسمع عن تعبيرية فدكند وهاويمان وتعبيرية سترندبرج ليكون ما سمعه خميرة تفكير لا تلبث أن تتفاعل حتى يفعل بها كاتب المستقبل العبقري .. مما ظهرت آثاره كبيرة مافرة في معظم مسرحياته الكبيرة .

٨ — أوجست سترندبرج (١٨٤٩ — ١٩١٣) ..

وسترنديرج هو كما قدمنا مفتاحنا الذهبي الى أونيل .. وبينهما أوجه شبه عجيبة تشمل حياة كل منهما وفلسفتها وطريقتهما في عرض مسرحياتهما ثم موقف كل منهما تلقاء المذهبين الواقعي والطبيعي ، وتفاذهما من سطحية هذين المذهبين الى أغوار النفس الانسانية ليعبرا عما فيها من أسرار وما يجيش هناك من وساوس ، وما يأخذ بزمام هذه النفس بسبب تلك الأسرار والوساوس من ذلك القدر المحتوم الذي لم تصنعه الآلهة كما كان اليونانيون القدامى يعتقدون ، بل الذي يصنعه المجتمع وظروف الحياة والتحكم الطبقي والتفاوت المعاشي والمستوى التعليمي المنخفض بل المتلاشي الذي ترسف فيه جماعات بأكملها من القطيع الانساني فتتفشى فيها الجهالة وتؤمن من ثم بالثرهات والخرافات ، ويكون لهذه

الترهات والخرافات أثر عميق في طريقة تفكير تلك الجماعات البائسة التي لا تملك الا أن تستسلم لمن يستغلها .. الا أن يشور من بينها ثائر يعبر عما تكتمه من ألم وما يضطرب في صدورها من شجن .. فاذا أرادت أن تصنع شيئا لم تنته محاولتها الا الى الفشل ، لأن عدوها المتربص بها قوى ، وأسلحته المادية فتاكة .. وهو عادة يملك مصادر القوة والثروة والعمل كلها .. وهي مصادر لا تملك منها تلك الجماعات البائسة الا قوة عضلاتها .. وقوة هذه العضلات في خدمة السادة دائما .. تستغلها .. وتحاول أن تطعمها وتبقى عليها لتعطيها أكثر ..

. لقد كان سترندبرج ابنا غير شرعى لوالد غنى من خادمة ضعيفة .. وقد ظلت هذه النقطة من الشعور بالنقص تخامرهم وتعذبه طوال حياته .. وتجعله عدوا للبورجوازية والبورجوازيين ، وعدوا للطبقات المترفعة التي أذلها ونال منها في مسرحياته .. وكذلك فعل أونيل الذي كان ابن ممثل في عصر لم يكن الممثلون فيه .. وفي أمريكا بالذات .. ينعمون بالكرامة الانسانية بعد .. ولم تكن الفرق الجواله تنعم بأى قدر من الاحترام .. لقد كانوا يبيتون في الزرائب والمخازن وأهراء الغلال ، ويحيون حياة البائسين الأشقياء .. وكان

الكثيرون منهم يقارفون الاثم بلا مبالاة ولا تقزز .. وكأنه شيء عادي .. وقد وقع أونيل في هذا وفي شر منه حتى غثيت نفسه من البيئة المسرحية فهجرها ورضى بأحق الأعمال .. وماذا بعد رعاية البغال والماشية من خسة وحقارة ؟

وقد تزوج سترندبرج ثلاث زيجات ، كانت احداها من ممثلة أحبها .. لكنه لقي منها ما لقي من الآخرين .. فطلقها هي أيضا .. وراح يصب لعنته على جميع نساء العالم .. وكذلك فعل أونيل .. وان كانت آخر زيجاته من سيدة حسناء أحبها وأحبته .. وان لم تستطع أن تجعله يرفق بالنساء ، فجعل منهن البغايا وأهل الصبوات في كثير من مسرحياته .

واشتغل سترندبرج في الصحافة ، وكذلك فعل أونيل .. وان كان فرق بينهما هو أن سترندبرج كان يكتب من كتابات المقالات والقصص التي لا تختلف في مادتها ووجهتها عن مسرحياته ، أما أونيل فكان يعمل مخبرا .. وان كان يصوغ أخباره في أسلوب قصصي شائق يجذب أنظار القراء ويستثير فضولهم ..

ولفت المذهبان الطبيعي والواقعي نظر كل من الكاتين .. المذهب الطبيعي الذي يصور الشخصيات والأحداث تصويرا طبيعيا فتوغرافيا لا تعمق فيه ولا صنعة ولا حبكة ، والذي

يقتصر كتابه على حثالة البشر يعرضون علينا علمهم وآفاتهم
وأساليب معائشهم عرضا آليا بشعا .. ثم المذهب الواقعي
الذي سما الى أوجه على يدي ابن سن ، والذي يتسع فيه المجال
للتلصيف والجدل ونطق الشخصيات بلسان المؤلف وبأفكاره ..
وبيان وجهة نظره ، ومن ثمة كان مجالا لعرض مشكلات
المجتمع وقضايا الانسانية الكبرى في أسلوب محبوب منتظم
يبدأ بالعرض ويرتفع بعد التعقيد الى ذروة ثم ينتهي الى حل ..
ما يختلف عن المذهب الطبيعي كل الاختلاف .

لقت هذان المذهبان نظر سترندبرج ، ونظر أونيل من
بعده .. فلم يقعا فيما وقع فيه أقطاب كل من المذهبين من
العناية بالسطح ، واغفال الجوهر .. وتناول الصورة واغفال
الأعماق .. بل استعمال المذهبين وتساميا بهما الى دخيلة النفس
الانسانية .. الى ظلماتها .. لم تشغلها مشكلات الجماعات
المؤقتة عن استكناه نفسية الفرد وما يجيش في صدره من
أوهام وأحلام وهواجس .. لقد كانا يسبحان فوق السطح ،
ثم لا يلبثان أن يغوصا الى الأعماق ليعرضا ما في قرارها من
هلوسات ومكنونات .. ومن هنا استخدم المذهب التعبيري
الذي هذه وظيفته أحسن استخدام وأكثره جدوى ، لاجئين
في الوقت نفسه الى الرمز .. أو المذهب الرمزي الذي كان

يجيده ابنس ، ويكثر منه في تمثيلاته الواقعية والرومنسية أيضا .. عدا تمثيلاته الرمزية الخالصة ، كما كان يجيده سترندبرج الذى كان أشد عمقا من ابنس وأكثر تنوعا ، وأبعد نظرة ، وأشد افتاتا بكل جديد طريف ، وأحكم من أن يكون عبدا ذليلا لطريقة المسرحية ذات الحكمة الجيدة التى أخذها عن مكرب وتلميذه ساردو .. بل أكثر الانطلاق من قيود القواعد الكتابية المسرحية .. يقترب من هذا المذهب مرة ، ويأخذ من ذلك المذهب بمقدار .. ويزوج بين أكثر من ثلاثة مذاهب أو أربعة فى كثير من مسرحياته التى يرسلها فى غير نظام .. وفى أحيان كثيرة بلا حكمة .. مما جعل نقادا كثيرين يعيونها بضعف البناء المسرحى .. والتفكك .. وقلة الترابط .. وذلك كما عابوا مسرحيات شيكسبير من قبل .. وهى الظاهرة نفسها التى يعيوني بها تمثيليات يوجين أونيل .. تلك التمثيليات التى يصفها بعض النقاد بأن فصولها الأولى تكون أقوى عادة من فصولها الأخيرة .. حيث نشرع بتراخى فن أونيل وتقطع أنفاسه .

والملم بمسرحيات سترندبرج كثيرا ما يرى طيفه يرفرف بين سطور أونيل ، ويكاد يظللها فى معظم مسرحياته .. بل يكاد يلمس تلك الصوفية المتشائمة المترمة القائمة الوجه الغائمة

الأسارير ، كما يلمس غموض الفكرة وشحوب الصورة ..
وقد علل بعض النقاد تلك الظاهرة بأن قصر الفترة الدراسية
التي قضاها كل من الكاتبين في جامعته .. وهى عام واحد
لكل منهما .. أبعدهما عن الدراسة المنهجية المنظمة مما تجلى
أثره في مرحياتهما .. وهذا تعليل سطحي من غير شك ..
والصحيح هو أن تناول دخيلة النفس الانسانية وتصوير
ما تهجس به من أحلام وأخيلة وهواتف تصورا مرحيا
يتجسم فيه النزاع الأبدي بين ارادة الفرد وبين مجتمعه
وظروفه والعقائد السائدة من حوله .. وبالأحرى بين وعى
الفرد .. هذا الوعى المقيد بألف قيد .. وبين عقله الباطن
أو (لا وعيه) الذى لا ينفك يتلمل من قيود المجتمع وتقاليد
وقوانينه التى تحول بينه وبين الانطلاق .. وتخزنها بهذا
التقيد من تحقيق رغائبه ولبانات نفسه الحيسة المكتوبة ..
تقول ان تناول دخيلة النفس الانسانية تناولاً مرحياً وعلى
هذه الصورة لا بد أن يبدو تناولاً غامضاً مبهماً بعيداً عن الطرق
المادية الملموسة أو المرئية أو المسموعة مما يتميز به المذهب
الواقعى النطحي أو المذهب الطبيعى الفتوغرافى ، وما يتميز
به ذلك المزيج الرمزي التعبيري — والصوفى أحياناً — عن
الواقعية والطبيعية .. وهل مخزونات العقل الباطن يمكن أن

تكون الا بهذه الصورة المشوشة المضطربة التى يتداخل بعضها
فى بعض ، ويظفوا بعضها مرة ، ثم يعيضا ليظفوا غيره مكانه ..
وهكذا .. دو اليك .

ونعود فنقول ان سترندبرج هو اعظم الكتاب المسرحيين
التجريبيين الذين لم يأخذوا بطريقة واحدة فى كتابتهم ، ومن
هنا تعدد طرقه الكتابية وغمراه بالتجديد والابتداع فى عرض
أفكاره ، وبالأحرى أفكار شخصياته والهواجس التى كانت
تملأ أدمغتها .. واذا تذكرنا أن سترندبرج كان قد أصيب
فى فترة ما من فترات حياته بخلل عقلى قضى بسببه بضعة
أشهر فى مستشفى للأمراض العقلية ، ثم خرج منه ليواصل
أفانيسه ومسرحياته التى كانت صدى للتجارب المرة التى
تجرع غصصها .. واذا تذكرنا أنه عاش طوال حياته بعد هذا
شخصا مصابا بالفصام النفسى أو انشطار الشخصية ،
أو شخصا يحمل نفسيتين تخضع أضعفهما للعقل الواعى بينما
تخضع أقواهما لعقله الباطن .. اذا تذكرنا هذا ، ولمسنا أثره
بالفعل فى قصصه ومسرحياته ، سهل علينا أن نقيم وجه الشبه
فى ذلك بين الكاتب السويدي العظيم وبين تلميذه أونيل الذى
تكاد حياته أن تكون نسخة من حياة أستاذه .. حتى فى فترة
مرض أونيل واستشفائه من انهياره الجسمانى والعصبى فى

المستشفى بنيويورك .. وخروجه من المستشفى ليبدأ تلك
السلسلة الطويلة الخالدة من المسرحيات التي يباهى بها
المسرح الأمريكي اليوم جميع المسارح العالمية ، والتي نلاحظ
في معظمها تلك الظاهرة التي يكاد أونيل ينفرد بها من بين
كتاب العالم .. ظاهرة انفصام عدد كبير جدا من شخصياته
المسرحية ، وتحديثها بلسانين ، وتفكيرها بعقليتين .. لسان
تتحدث به أكثر ما تتحدث الى الناس ، ولسان آخر تتحدث
به الى نفسها ، وترجم به عن حقيقة ما تؤمن به وتود
لو استطاعت أن تقوله وتجهر به .. لولا ما فرضته الانسانية ،
وفرضه المجتمع على نفسه من أوضاع وآداب وقوانين ..
وكان أونيل لهذا السبب يلجأ الى طريقة النجوى
Soliloquy والأحاديث الجانبية الفردية Asides القديمة
لكي يجعل الشخصية تعبر عما يجول في دخيلتها تعبيرا
صريحا .. ثم يجعلها بعد ذلك تعتدل فتواجه الشخصية التي
أمامها بكلام آخر مما يقتضيه المقام .. والنجويات والأحاديث
الجانبية بدعة مسرحية فشت في المسرح الانجليزي في عهد
اليزابث .. ونحن نجد منها شيئا كثيرا في هاملت وماكبث ..
ولكن أونيل يستعملهما استعمالا سيكلوجيا وعلى نطاق
أوسع ، بل هو يستعملهما الى حد السرف في بعض مسرحياته ،

كما نجد ذلك في مسرحية : Dynamo والفاصل الغريب ,
Strange Interlude ليجلو أمامنا دخيلة النفس الانسانية على
حقيقتها وليفصح لنا ثقافتنا الاجتماعية الذي لا نريد أن نعترف
به ونحن غرقون فيه ... وهو في مسرحية الاله الكبير براون
يستخدم الأقنعة التي تشبه في التراث الخرافى الشرقى
« طاقة الاخفاء » اذ لا تكاد الشخصية تضع قناعها حتى
تتحدث بلسان جديد وتفكر تفكيرا جديدا وتبدو شيئا جديدا
مفاجئا .. فاذا رفعته عن وجهها عادت الى حالتها القديمة قبل
أن تلبس قناعها ..

وبعض العاملين بالمرح يخطيء حينما يرمى أونيل
بالسخف في هذه البدعة التي ابتدعها .. لأنه ينسى أن هذه
الأقنعة وسيلة من وسائل الرمز .. والذين يدرسون علم النفس
ويتعمقون فيه يعرفون أننا جميعا نلبس الأقنعة حينما يضطرنا
المجتمع وتقاليد وأوضاعه وآدابه وشرائعه الى النفاق
الاجتماعى والظهور بين الناس ومخاطبتهم بما قد لا تؤمن به ،
وانما تضطرنا هذه التقاليد والأوضاع والآداب والشرائع الى
هذا النفاق الاجتماعى ايثارا للسلامة .. والذين يتبحجون
فيزعمون أنهم لا يباليون فى الحق لومة لائم لا يكادون يخلون
الى أنفسهم مع ذلك حتى يحمداوا الله على الحرية التى يشعرون

يها في تلك الخلوة ، فهم أحرار في أن يفعلوا فيها ما شاءوا
مما لا رقابة لأحد عليهم فيه .. الرقابة !!.. الرقابة التي هي
عين المجتمع الساهرة .. غول الأوضاع والتقاليد والآداب
والشرائع التي سنها المجتمع .. أو أعمدة المجتمع كما رمز
ابن .. لحماية الأقوياء في الغالب ، وتمكينهم من رقب
الضعفاء .

فمن منا لا يستعمل الأقنعة !

وللأقنعة تاريخ قديم .. بل موغل في القدم .. ولعل
المصريين القدماء هم الذين اخترعوها .. واخترعوها لتجسيم
أربابهم قبل كل شيء ، ومن هنا دخلت مسرحهم الذي كان
مسرحا دينيا قبل كل شيء .. بل كان جزءا من طقوس المصري
وشعائرهم .. ثم انتقلت الأقنعة الى المسرح اليوناني بكل
ما كان يعرض من مأس وملاه وهزليات ساتيرية .. وقد كان
أول استعمالها عن طريق الدين وتجسيم الآلهة أيضا على نحو
ما كان يستخدم المصريون المسرح .. ثم تسامى بها اليونانيون
فكانوا يجسمون في أقنعتهم أدق المشاعر وأصغر خلجات النفس
وكان الممثل يقف في مواجهة الجماهير فيبدى هيئة مختلفة
عما يندبها وهو واقف وقفة جانبية الى اليسار أو اليمين ، ومن

هنا كان استخدام الأقنعة عند اليونانيين فنا من الفنون الرفيعة
التي تتطلبها مسارحهم الواسعة الشاسعة
ثم ظهرت الأقنعة في المسرح الانجليزي وطفرت طفرة
واسعة في عهد عودة الملكية في المسرحيات التنكرية الموسيقية
ذات البهاء المنظرى الخلاب .. ولكنها فقدت وظيفتها القديمة ..
وكذلك فقدت وظيفتها القديمة حينما استخدمها ممثلو الملهاة
المرتجلة أو الـ *Commedia dell'arte* في عصر النهضة ..
اذ لم تعد شيئا أصيلا تصور به المشاعر الدقيقة أو الأحاسيس
السامية ، بل أصبحت شيئا يقصد به وجه التهريج وضحك
الجهاهير اضحاكا آليا فحسب .. ولعلها لم تكن غير ذلك في
الملهاة اليونانية ولا سيما في عصرها القديم أيام أرسطوفانز .
ولهذا كان لابد للمخرج الذى يتولى اخراج مسرحية
أونيل هذه — أى مسرحية الاله الكبير براون — أن يدرس
موضوع الأقنعة دراسة عميقة ليعبر بها عما يريد أونيل ، وحتى
لا يثير بها ضحك الجمهور أو يضيع بها التأثير المطلوب .
وقد استعمل أونيل الأثباح أيضا .. وللأثباح قصة
قديمة في تاريخ المسرح .. اذ تظالعنا أول ما تظالعنا في المسرح
اليونانى ، وذلك في مسرحية الفرس لاسخيلوس (٤٧٢ ق . م)
حينما يأتى شبح أو روح الملك دارا من العالم الثانى بعد

وقوع كارثة هزيمة الجيش الفارسي بقيادة أخشورشة
— اكسيس — لبعض أبناء المستقبل .. وقد استخدم
الكاتب اللاتيني سنكا هذه الأشباح على نطاق واسع .. وتلمذ
عليه فيها شيكسبير وكتاب عصر اليزابث . أما سترندبرج
فكان بارعا في استخدامها براءة تامة ولا سيما في مسرحيته
السوناتا الشبكية ومسرحية الأحلام .. وعن سترندبرج تعلم
أونيل استخدام الأشباح .. وهي من أبرز السمات في مسرحيته
الامبراطور جونز .

مسرحيات أونيل :

يقول يوجين أونيل في الخطاب الذي كتبه الى بارت
كلارك ، والذي أشرنا اليه من قبل : « لقد كانت أولى
مسرحياتي هي مسرحية The Web ، ثم التحقت بمدرسة
الأستاذ بيكر ٤٧ بجامعة هارفارد حيث قضيت هناك العام
الدراسي ١٩١٤ - ١٩١٥ وقضيت صيف سنة ١٩١٦ في
بروونستون .. وهو الصيف الذي تألفت فيه فرقة مشغلي
بروونستون .. (أو فرقة P. P. اختصارا لاسمها
Provincetown Players) .. تلك الفرقة أخرجت لي جميع
مسرحياتي القصيرة الأولى تقريبا .. وذلك في مدينة نيويورك .
أما هذه المسرحيات القصيرة الأولى فكانت محاولات

يجس بها أونيل نبض المسرح .. والمهم هنا أنها شقت لأونيل طريقه الى مجده الكبير ، كما كانت سببا في ذيوع اسم الفرقة التي أخرجتها .. وان تكن في حد ذاتها مسرحيات بدائية لم يكن أونيل نفسه راضيا عنها كل الرضا .. حتى لقد عاد فأحرق منها ست عشرة مسرحية لتفاهتها ، بالرغم من أن فرقة واشنطن سكوربيليرز المشهورة قد أعادت تمثيلها بعد أن استهلكتها فرقة بروفونستون .

وتعد السنوات من ١٩١٤ الى ١٩٢٠ سنين الاعداد والتلمذة المسرحية في حياة أونيل .. وقد بقى من مسرحياته القصيرة التي كتبها في تلك المدة عدد لا بأس به .. لأنه لم يحرقه .. ومن ذلك العدد : الظم Thirst ، والقلق Recklessness ، وتحذيرات Warnings ، والضباب Fog ، ولعلها أحسن تمثيلياته القصيرة ..

وتمثيلياته الأولى هذه شديدة التأثير بتمثيليات سترندبرج الذي كان يصفه أونيل فيقول : « انه الكاتب الذي يبحث في الحاح واصرار عما وراء الحياة .. وأنا أفعل كما فعل .. انى أبحث عن شيء أومن به وأنتمى اليه .. ولن أومن الا بالانسانية ولن أتمنى الا اليها » ولعله في ذلك قد تفوق على أستاذه الذي كان يبدو وكأنه نسخة منه ولا سيما في مسرحيته : قبل

الافطار Before Breakfast ، التي قلد فيها مسرحية-
سترندريج : الأقوى The Stronger وكل منهما نجوى.
ذاتية يقوم بها ممثل واحد لا يزال يقوم بالفعل كله حتى تكتمل
التمثيلية في أذهان المتفرجين .

على أن سنة ١٩٢٠ هي نقطة التحول الفعلى في حياة أونيل.
المسرحية اذ ظهرت فيها أولى مسرحياته الطويلة أو الكاملة ..
وتلك هي مسرحية « وراء الأفق أو Beyond The Horizon »
التي أحدثت أول دوى شديد في المسرح الأمريكى ، وشقت
طريقة الى اكتساب السعة العالمية .. وقد نال بها أونيل جائزة
پلتزر عن أحسن مسرحية أمريكية ظهرت في ذلك العام . وهذه
الجائزة ذات السعة العالمية هي الجائزة التي أنشأها الصحفى
الأمريكى الشهير جوزيف پلتزر J. Pulitzer (١٨٤٧ -
١٩١١) الذى خصص مبلغا كبيرا من المال لانشاء مدرسة
للصحافة بجامعة كولومبيا وخصص أرباح الباقي منه لمنح
جوائز سنوية عن أحسن أثر فكرى يظهر في خمسة مجالات
من مجالات التأليف من بينها المسرحية ودواوين الشعر
والتراجم والتاريخ والقصة الطويلة .

ومسرحية « وراء الأفق » من أروع المسرحيات التهكمية
الساخرة .. انها دراما أخوين : روبرت الفتى الخيالى الذى.

كان يحلم بأن يجوب أطراف البحار ويذرع الأرض طولاً وعرضاً .. وآندرو الفلاح الساذج الطيب النية السليم الطوية .. والذي كان ينافس أخاه في حب بنت الجيران : « روث » تلك التي آثرت عليه أخاه روبرت فأنسته أحلامه ومغامراته الخيالية التي لم تخرج من دماغه مطلقاً .. ويدفع هذا أخاه آندرو الفلاح الطيب فنراه يهجر المزرعة إلى البحر ليكون هو الفتى المغامر جواب الآفاق .. وتمضى سنوات ثلاث نرى روبرت بعدها شخصاً عاثر الحظ بأنا شقياً مع زوجته التي تكتشف فجأة أنها إنما كانت تنطوي على حب آندرو .. الذي يعود فيرفع الغمامة عن وجه روث وعن وجه أخيه .. عن وجه روث لأنها تكتشف أن آندرو قد نسيها .. وعن وجه روبرت لأنه يرى أنه لا يزال فتى خيالياً خاملاً ولا تقع فيه .. ولم تؤثر فيه التجارب المرة التي مرت به .. ثم تمضى سنوات خمس أخرى يذهب خلالها آندرو إلى الأرجنتين (!) حيث يحصل بجده على ثروة هائلة لا يلبث أن يفقدها بالمضاربة .. ويصاب روبرت بمرض صدرى .. ويموت ابنه الوحيد الذي كان عزاءه عما يشقى به من مصائب .. وينتهي حال المزرعة إلى الإفلاس .. ويزيد الطين بلة أن تعترف روث لروبرت بأنها لم تحبه قط ، وأنها إنما كانت

تجب آندرو .. وأنهما قد خدعا نفسيهما بهذه العلاقة الجنسية الطارئة التي أيقظتهما منها ضرورة التماس لقمة العيش التي لا يحسن الشعراء الخياليون الحالمون تحصيلها ، بدليل خراب المزرعة .. وفي حديث خائب بينهما نسمعها يلقيان باللوم كله على الله .. كما يفعل الخائبون جميعا ..

ثم يلتقى الأخوان فيتهم روبرت أخاه بأنه سلك مسلكا غير أمين مع فطرته الطيبة وسلامة طويته القديمة حين ذهب يغامر في سبيل المال .. فلما حقق منه ما يريد بعثه في المقامرة .. ويشتد المرض بروبرت فيقضى عليه .. ولتسم الكارثة .. وان رأينا يموت وهو راض كل الرضا .. لأنه الآن فقط يبدأ رحلته التي كان يحلم بها من قديم .. رحلته « وراء الأفق ! » وان اختلف الأفق .. واختلفت البحار هذه المرة !

وفي سنة ١٩٢٠ أيضا تظهر مأساة « الامبراطور چونس » الخيالية التعبيرية ، أو التي يصفها أوفيل نفسه فيقول انها من « المذهب الطبيعي الأعلى Super-naturalism وهو يقصد بالمذهب الطبيعي الأعلى المذهب الطبيعي الذي يتجاوز السطح الفتوغرافي الذي يلتزمه الكتاب الطبيعيون عادة الى أعوار النفس الانسانية يخوض فيها ويتعمق أسرارها مرحلة مرحلة وخطوة بعد خطوة حتى اذا قاربت المسرحية نهايتها

رأينا تلك النفس تقف أمامنا عارية مفضوحة لا يسترها عنا ساتر .. ويعترف أو ينيل أيضا بمناسبة ظهور مسرحيته هذه بأن سترندبرج وقد كند هما اللذان هدياه الى ذلك المذهب .. بل انه ترسم فيه مسرحيات سترندبرج : مسرحية الأحلام ، وهناك جرائم وجرائم ، والسوناتا الشبكية .

والامبراطور چونس أو بروتس چونس هو ذلك الزنجي القوي الذي كان يعمل (شيالا) في قطارات البولمان بالولايات المتحدة ويرتكب جرائم القتل والسطو كلما لاح له الفرصة لارتكابها ، ثم يحكم عليه بالاعدام لكنه يفر الى جزر بهاما — وفي بعض الطبقات الى أفريقيا — حيث مزارع القصب التي يعمل فيها مواطنوه الزنوج ، وهناك يلقاه مستعمر انجليزى فيهىء له استغلال العمال والفلاحين الزنوج بفرض الأتاوات عليهم متذرعاً في ذلك باشاعة الخرافات بينهم وأنه يملك قوى سحرية هائلة تتمثل في تلك الرصاصة الفضية التي لن يقتل چونس الا بوساطتها .. وبهذا يتم لچونس السلطان على هؤلاء الزنوج حتى اذا ضاقوا به ذرعا أخذوا يتهاون للثورة عليه ووفروا الى الغابات المجاورة لقصره .. فاذا أحسن چونس بذلك أخذ الرعب يدب الى قلبه ثم تسلل هو الى الغابات يلتمس الشاطيء ليركب البحر فاراً بجلده .. والمسرحية

تصف في ثمانية مناظر فرار جونس خلال الغابة .. فراه في أول فراره جبارا قويا ثم لا يزال الذعر يملكه شيئا فشيئا ولا تزال الأخيذة الغامضة والرؤى المليئة بالأرواح والأشباح تتبدى لنا من ذهنه هو حتى يقع فريسة سهلة آخر الأمر للزواج الثائرين الذين صنعوا له رصاصة فضية يقتلونه بها ..

ما تجد وصفه في تلخيصنا الواسع للمأساة في كتابنا أشهر المذاهب المسرحية التي نشرته وزارة الثقافة ، كما تجد فيه تفصيل الكلام عن المذهب التعبيري .

وقد حول الموسيقار لويس جرونبرج هذه المأساة — أو الدراسة السيكلوجية للخوف — الى أوبرا سنة ١٩٣٢ ولمع فيها المعنى الزنجي الطائر الذكر پول روبسون .

وفي سنة ١٩٢٠ أيضا ظهرت مسرحية : Different أو « مسألة مختلفة » ان صحت هذه الترجمة .. وهي دراسة سيكلوجية للجنس كما كانت « الامبراطور جونس » دراسة نفسية الخوف .. ويعترف أونيل هنا أيضا بأنه كتبها وهو متأثر بسترندبرج وقد كند .. أجراً من كتب في سيكلوجية الجنس وعواملها الداخلية الصرفة .. وقد لجأ فيها المؤلف كعادته الى السخرية اللاذعة من أولئك المتطهرين الذين يغالون في تطهرهم حتى يقموا آخر الأمر في المحظور الذي كانوا

ينحاشونه ومن ثمة ينتهون الى الخيبة والحسرة والندامة ..
فهذه بطلة المسرحية اماكروسبى التى رفضت يوما ما الزواج
من ربان بحرى بحجة أنه لم يكن ثقيا نقاء كاملا من الوجهة
الجنسية كما كانت تعتقد .. ثم يمضى بها العمر وهى شبه
عانس حتى تقع آخر الأمر ضحية سهلة ولقمة سائغة لهذا
الفتى الأفاقى بنى Benny قاتل النساء وأحد جنود
الحرب العالمية الأولى الذى ينال منها ويذيقها ما كانت تفزع
منه قبل احدى وثلاثين سنة كاملة . وقت أن كان العمر ريبعا ..
والآن .. بعد أن صوح الربيع وأصبح العمر خريفا .. بل شتاء
قارسا !

وندع مسرحيات : الرثية Exorcism ، والذهب ،
وكريس كرسstofرسن التى كتبها جميعا سنة ١٩٢٠ ، تلك
السنة الخصبة فى حياة أونيل الأدبية ، لتحدث عن مسرحيتين
مما كتب سنة ١٩٢١ ، احدهما مأساة : أنا كريستى Anna
Christi التى أعاد فيها عرض مسرحية كريس كرسstofرسن ..
وأنا بطلة المسرحية هى ابنة ربان بحرى سويدى نشأت فى
بيئة ظالمة شقية فى وسط غربى الولايات المتحدة وقضت عليها
ظروف حياتها بأن تشب عاهرا بل فى أرذل صور البغاء
مما ملأ نفسها مرارة على والدها وعلى الدنيا جميعا . وتصل

الى نيويورك فتلقى أباهما كريس لأول مرة في حياتها بعد أن تركها طفلة لا تكاد تعرفه .. فتسافر معه فوق ظهر سفينة الفحم عابرة المحيطات حيث تتعرف الى بحار أيرلندى يدعى ماط Matt فتجبه .. ويتشاحن الوالد والحبيب من منهما يملك زمام الفتاة ويكون صاحب السيطرة عليها .. وتثور الفتاة على الرجلين .. على أييها لطول اهماله اياها وعدم الاحتفال بأمرها طوال هذه السنين السود مما كانت له آثاره الوخيمة عليها .. وعلى الحبيب ماط لنزقه وغطرسته .. وفي ثورتها تبوح بكل نجاستها القديمة .. وبعد مشهد عنيف يفيء فيه كريسى الوالد الى ضميرد ويعود اليه رشده كما يفزع بعده ماط الى كأسه .. يهدأ الثلاثة وتعد أننا المسكينة بأن (تتوب !) وأن تصلح من سلوكها القديم بالاقلاع عن حياة العهر .. وتترك أننا على البر لتسهر على شئون منزل الرجلين حين يعودان من عملهما فوق سفينة الشحن التى أقلعت بهما لتندرع أطراف البحار . وقد كتب أونيل سلسلة من المسرحيات البحرية التى نشم فيها روائح من حياته الأولى ومغامراته البحرية السائبة القديمة ، نكتفى منها بهذه المسرحية التى تمثلها جميعا . والمسرحية وان تكن مغرقة فى المذهب الطبيعى الا أنها

لا تفهم .. بل لا تطاق كما يقول فريدلى .. الا من ناحيتها
الرمزية .

أما المسرحية الثانية التى كتبها أونيل سنة ١٩٢١ فهى
مسرحية : القشة The Straw وتتلخص فى أن فتى وقتاة
يقاسى كل منهما من مرض الدرن (السل) وينزلان فى مستشفى
واحد يقع كل منهما فى غرام الآخر .. ويشفى الفتى من مرضه
ويعادر المستشفى فتحزن الفتاة ويستولى عليها طائف من
القنوط بل يكاد يقتلها اليأس .. لأنها تشعر أنها انما كانت
تحيا لهذا الفتى وأنه كان أملها الذى من أجله تعيش .. ثم يأتى
الفتى لزيارتها فى آخر المسرحية .. ولكن .. ليته لم يعد ..
ان المسكينة تكتشف أنه لم يعد يهواها ! لقد ضاعت حتى آخر
قشة كانت المسكينة تتعلق بالحياة من أجلها ! آخر أمل .

ولعل المسحة الرومنسية التى تصطبغ بها هذه المسرحية
الناجحة ترجع الى أن أونيل كان قد كتبها سنة ١٩١٨ وان
لم تمثل الا سنة ١٩٢١ .. ومن هنا اغراقها فى عاطفتها وغرابتها
على طبيعة أونيل التعبيرية .

وفى سنة ١٩٢٢ ظهرت مسرحيته : « الرجل الأول » التى
فشلت فى المسرح بالرغم من جودة موضوعها الذى يدور حول
ضيق زوج يشتغل بالعلم بزوجه التى جاءها المخاض وبدأت

تضع مولودها وتصرخ من الألم . مما أزعج صاحبنا الزوج لأن صراخها صرفه عما كان يسييله من تفكير ، مما أشاع بينهما روح التنافر وأدى الى ضيق الزوج بأقارب زوجته .. أولئك الذين راحوا ينثرون الشائعات والشكوك حولها بعد موتها بسبب ذلك النفور المؤقت العارض الذى حدث عند ولادتها .

لقد هاجم النقاد هذه المسرحية لا لشيء الا بسبب أبسط نقطة فيها وهى تلك الصرخات التى كانت ترسلها الزوجة وقت الولادة .. وهكذا صرفوا عنها الجمهور .. ولكن أونيل سخر من النقاد وسخر من الجمهور ، وفاجأ المسرح الجمهورى بمسرحيته العظيمة : القرد الكثيف الشعر التى ظهرت فى سنة ١٩٢٢ نفسها ، وظهرت ترجمتها العربية مع مقدمتها الرائعة فى العدد الرابع والعشرين من هذه المجموعة .. انها قصة تلك النظرة المستهزئة التى نظرت بها الفتاة ميلدرد .. ابنة صاحب مصنع الصلب البيضاء .. الى هذا العامل الزنجى القوى يانك الذى كان يحسب أنه هو وبنو جلدته صانعو الحضارة الحديثة كلها لأنهم هم الذين يذبيون الصلب الذى يحمل صرح المدينة فى العالم بأجمعه .. وكان لهذا يعتر بقوته وبفنه ، فاذا هذه النظرة تقلب موازينه الفكرية كلها .. وبعد أن كان ينتمى

الى شىء يعتز به أصبح لا يجد شيئا ينتمى اليه .. وهو لهذا
يبحث عن هذا الشىء ، لكنه لا يجده .. ولا سيما بعد أن
حاول الانتقام من ملدرد فى شخص الجنس الأبيض كله
فقتل .. و انتهى الى السجن .. ومن السجن الى حديقة
الحيوانات حيث يرى الغوريلا أو القرد الكثيف الشعر الذى
يشبهه ، فيحسده على أنه ينتمى ، ولا يزال ينتمى الى
بنى جلده .. المطلقى السراح فى الغابة .. أما هو .. فلا ينتمى
الى شىء .. وفى ثورة عارمة يحاول البطش بالقرد .. لكن
القرد يبطش به .. ويموت بانك وهو يقول : « والى أين
يمكننى أن أذهب من هنا ؟ » .

وهكذا نجد الرمزية والتعبيرية يمتزجان هذا الامتزاج
الرائع فى المسرحية .. وهكذا يصور أونيل قضية الزوج التى
تستمر اليوم فى أمريكا نفسها ، كما تستمر فى جنوبى أفريقيا ..
وفى أنجولا .. بل تستمر بين الرأسمالية الاحتكارية الوبيلة
وبين الانسانية كلها .. كما يصور تلك المعركة الأبدية بين
الانسان وبين قدره الذى صنعه له ظروفه .. ممثلة فى ذلك
الصراع الأبدى بين عقل الانسان وعقله الباطن ..
ومأساة الزوج التى تصورها تلك المأساة النفسية الرهيبة
لا تصبغ المسرحية بصبغة طاقية خاصة بفتة واحدة من البشر

مع ذلك .. فالمشكلة ليست مشكلة الزنوج فحسب بل هي مشكلة جميع الملونين ازاء الشعوب البيضاء .. ثم هي مشكلة الانسانية كلها حين يستعلى بعض المنتسبين اليها على بعض . وأونيل كان انسانا ولم يتم قط الا الى الانسانية .. حتى مذهبه الدينى نفسه قد هجره واتمى من بعده الى الانسانية التى لا تفرق بين طائفة من البشر وطائفة ، وبين مذهب ومذهب .. ومن هنا دفاعه عن الزنوج ونصرته لانسانيتهم ، وثرثريه على بلاده وحكومتها التى قال عنها : « انها بلاد تعبد الثروة وتقصد المادة وتمثل أكبر فشل سياسى فى التاريخ .. وهى بالرغم من امتلاكها أعظم قدر من ثروات العالم لم تستطع أن تجعل لها جذورا حقيقية فى مجال القيم الروحية ، وذلك لأنها لا تفتأ تمارس تلك اللعبة القذرة .. لعبة محاولة الاستيلاء على أرواح الناس بالسيطرة على ما هو خارجها ، ثم التحكم فيه ، وذلك بامتلاك المادة التى تقيم أود تلك الأرواح .. متناسية ؛ وهى البلاد المسيحية .. ما جاء فى الانجيل من قوله : ماذا يفيد الانسان أن يكسب العالم كله اذا كان قد نسي روحه ! وليت شعرى .. كيف لا تحسن بلادنا ببغض البشرية كلها المسلط عليها ! » .

وهذه الكلمة الخالدة التى أرسلها أونيل تفسر لنا دفاعه

عن ضحايا الانسانية من العمال والبحارة والفلاحين والفقراء
في كل مكان .. انه يحاول أن يرد اليهم انسانيتهم ويشعرهم
بشرف الانتماء اليها .

وفي سنة ١٩٢٤ ظهرت مسرحيته « ملتحمان Welded »
التي يصور فيها شقاء زوج بزوجته وشقاء زوجة بزوجها ..
شقاء لا مفر لهما منه ولا حيلة لأحد الزوجين فيه .. وهو
الموضوع الذي غرق فيه أونيل الى أذنيه في الجرى وراء
سترنديج ؛ ومع ذلك نجحت المسرحية واستمر عرضها
موسمين متتابعين .. وقد لجأت الفرقة الخبيثة « فرقة
آل سلوين » الى عرض بعض مسرحيات سترنديج في هذين
الموسمين .. كأنها تذكر الجمهور بتلمذة أونيل للكاتب
السويدي .

وظهرت أيضا في هذه السنة مسرحية أونيل الناجحة
« جميع أبناء الله نمت لهم أجنحة » All God's Chillum Got Wings
التي يعالج فيها مشكلة الاختلاط الجنسى بين السود والبيض .
وما يتكشف عنه من كوارث رهيبية .. انها مأساة جيم هاريس
Jim Harris ، هذا الزوج الذي يتزوج اللا داوني Ella
Downey الفتاة البيضاء التي كان قد أحبها وأحبته اذ هما
طفلان غريبان فقيران ؛ والتي كانت قد أفسدتها في كبرها حياة .

اللهو حتى غلغت عشيقه لأحد قطاع الطرق ؛ وأنجبت منه
غلاما غير شرعى .. فاذا هجرها ميكى Mickey قاطع الطريق
عادت الى حبيب طفولتها جيم فلصقت به ولم تزل تثير فيه
هواه القديم حتى تزوجها .. لكنها تتزوجه لتشقيه شقاء لا حد
له .. انها تستعلى عليه ببياضها ، وتذله لأنه أسود .. وجيم
زنجى مجد نابه .. أكب على دراسة القانون ليكون محاميا
والفتاة تقف في طريقه حتى لا يسمو عليها بشرف العلم وسموق
المركز ؛ فى حين أنها لا تعنز بشيء الا بانتمائها الى البيض ،
وان كانت قد سفلت بماضيها الى حضيض المجتمع وحثالة
البشر .. انها تحاول جهدها أن تجره معها الى بالوعتها ..
وتنجح الا .. ويخيب سعى جيم .. ويشور الشقاق بينهما ..
وتحاول الشقية التى أصابها طائف من الجنون أن تقتله ..
لكن جيم يستعيد من الشيطان الذى يتلبسها بحبهما القديم ..
حب الطفولة البريئة الطاهرة التى يذكرها بها وينشد لها
أحانها .. فاذا هى الطفلة الغريرة الصغيرة الا مرة أخرى ..
الا النظيفة الطاهرة الذيل الصافية النفس الخالية من العقد
النفسية .. الغارقة فى هوى جيم .. الذى عاد هو أيضا الى
حبها منذ الآن .. وبعد أن نمت أجنحة لجميع أبناء الله ! .
ولقد أثارت هذه المسرحية نائرة الأوساط الكاثوليكية

على أونيل ، وهددت « بملخ أذنيه ! » بوصف المسرحية فضيحة لمذهبهم ولجنسهم الأبيض ، بقدر ما هي فضيحة للتورديين (أهل الشمال) الذين كانوا يعرفون أن في أونيل دما أو عرقا زنجيا أسود أو يعتقدون أنه كان يهوديا مارقا يسمى باسم مسيحي لكي يقوم بدعاية مدمرة للبابا والبابوية ! .. كما وجه إليها بعض النقاد ألوانا من النقد القارس لأنها لم تحل في نظرهم المشكلة العنصرية .. ناسين أن أونيل كان يتناول المشكلة من ناحية ذاتية صرفة . ناحية سيكلوجية يعوص بها في أغوار النفس الانسانية .

وفي سنة ١٩٢٤ أيضا ظهرت مسرحيته « البحار العتيق The Ancient Mariner » التي يسترجع فيها حينه القديم الى البحر .. والتي نرى فيها أثر كولردج الشاعر الانجليزي واضحا في أونيل ، وهو أثر لا يخفى عن قرأ منظومة الشاعر الانجليزي المسماة بهذا الاسم .

وفي هذه السنة أيضا .. سنة ١٩٢٤ ، ظهرت مسرحيته الجميلة : « رغبة تحت شجرة الدرदार » التي صدرت ترجمتها العربية مع مقدمتها البديعة في العدد التاسع والثلاثين من هذه السلسلة ، والتي تروى مأساة يوريبيدز « هيوليت » ومأساة راسين « فبدر » الخالدين ولكن في أسلوب عصري ، واتجاه

جديد .. وفيها يعشق شاب في الثانية والثلاثين زوجة أبيه الذي تجاوز السبعين ، وماتت زوجته وشريكة حياته فتزوج فتاة في مئة الصبى وريعان الشباب ، فلم تلبث أن صبت الى ابن زوجها ، وأثمت معه وأنجبت منه طفلا لهم تلبث أن قتلته بيديها ، لأنها لاحظت أن حبيبها الشاب قد ضاق بهذا الطفل خوفا على مزرعة أبيه من أن يتول ميراثها اليه .. فقتلت الطفل لتبرهن لحبيبها على أن حباها اياه أقوى من رغبتها في امتلاك المزرعة .. غير أن أمرها ينكشف وتقدم الى القضاء الذي يحكم عليها وعلى الشاب .. ويعطى صانع الجريمة الحقيقي وهو الأب العجوز فلا يدينه بشيء .. لأن هذا هو القانون !

وفي سنة ١٩٢٥ أيضا تظهر مسرحية أونيل : « النبع The Fountain » ، وهى مسرحية شعرية رائعة النظم تروى قصة حب پونس دى ليو (١٤٦٠ — ١٥٢١) الكشافة الأسباني الذي ذهب للبحث عن « نبع الشباب » الذي يعيد من يشرب منه الى ريعان الصبى الغض .. والمسرحية متأثرة بنف مترلنك ولا شك وهى وان تكن لمحة رومنسية رمزية من شطحات الخيال لا تخرج عن نطاق العقل الباطن الذي لا ينفك يحلم .. لأنه مخزن الأحلام الذي يمتح منه أونيل .

وفي سنة ١٩٢٥ كذلك ظهرت تحفة أونيل البديعة : « الاله الكبير براون » وهى :

هذه المسرحية

أو القطعة التجريبية العجيبة التي مלאها أوفيل بالرمز ..
والرمز الذى حشد له شيئا كثيرا من الرموز اليونانية القديمة
الأسطورية .. ومن الرموز المسيحية ورموز عصر النهضة ..
مما لا نستطيع أن نسيغه أو نهضمه الا اذا وقفنا على وجهة
نظر المؤلف .. ومن هنا كان لابد بعد أن تقدم لك ملخص
للمسرحية أن نتقل لك ما كتبه أوفيل نفسه عن هذه الرموز ،
وما جعله الأستاذ م . و . شتاينبرج ذبلا للمسرحية التي نشرها
في مجموعته : Aspects of Modern Drama .. وليت
الترجمة العربية كانت قد تمت عن طريقها .

والمسرحية مقدمة وأربعة فصول .

فاذا كانت المقدمة كنا في ملهى بحرى في احدى الموانئ
الأمريكية ، وكنا مع أسرة هذا الشاب ابن الثامنة عشرة :
وليم براون ، أويلى Billy ، كما سنجده دائما في المسرحية ..
ومع الشاب أمه وأبوه اللذان يثرثران عن فتى يدعى ديون
أتونى وعن أيه البناء ، وشريك والد بيلى الذى يتهمه بأنه
لا يترك له فرصة لكى يتوسع فى عمله .. ومن أجل ذلك فهو
يقكر فى أن يرسل ولده بيلى الذى يقف معنا الآن الى الجامعة

ليدرس هندسة المعمار ، ولكى يكون بعد تخرجه شريكا فى شركة (أتونى — براون .. وولده) أى ولده بيلى الذى تقول أمه انه كان يجيد رسم البيوت فى صغره .. ويقول الأب انه يملك كل مقومات النجاح ولا ينقصه الا أن يعمل بجد .. الى آخر هذه التزيكات التى تشيع الغرور ، كما تشيع الأمل فى صدر بيلى .

فاذا انصرفت هذه الأسرة الصغيرة لم نلبث أن نرى أسرة صغيرة غيرها ، مكونة من ثلاثة أشخاص آخرين ، تدخل لتحل محل الأسرة الأولى .. فاذا نحن تلقاء أسرة ديون أتونى الذى تحدثت عنه الأسرة الأولى .. ومع ديون أتونى الشاب ابن الثامنة عشرة أيضا أمه وأبوه .. ونلاحظ أن ديون هذا أنحف جسما من بيلى وإن يكن فى مثل طوله .. الا أنه يشبه Pan إله الغابات والمراعى والقطعان عند اليونانيين القدماء .. والذى يقول عنه أونيل انه إله الخمر عندهم أيضا .. كما يصفه فيقول انه فتى عصبى المزاج لا يعترف الهدوء .. يأتى كثيرا من الحركات العصبية المتوترة .. ووجهه — الآن .. مغطى بقناع تكسوه الحدة والصرامة .. وتعلوه غمامة مشوبة بالروحانية والشاعرية .. انه فتى عاطفى مرهف الحس ، يجمع الى براءة الطفولة إيمانا دينيا بالحياة .. وإن بدا

أحيانا كهذا الاله يأن المولع بالانغماس فى الشهوات الحسية
ولذائذ البدن .. وقد لبس ملابس بسيطة : قميصا قذرا من
القانيلا الرمادية ، وسروالا قصيرا من القانلا البيضاء وحذاء
من القماش .. وهو ينزل عن أبويه ليقلب عينيه فى مياه
البحر التى لا تنفك توشوش رمال الشاطئ .

وتقول الأم انها تود لو ذهب ديون الى الكلية . ولكن
الأب لا يرى ذلك .. لأن الكليات لا تخرج الا الكسالى
المتسكعين الذين يعيشون عالة على آبائهم الفقراء .. ولماذا
لا يشق ديون طريقه فى الحياة كما شقها أبوه الذى لم يتم
من التعليم الا مرحلته الابتدائية ، وهو الآن صاحب هذه
الشركة — شركة المقاولات المعمارية — ذائعة الصيت ؟

ويسمع ديون ما يقوله أبوه فاذا هو يستدرك : هذا المستر
أتونى هو أبى .. انه يحسب نفسه دائما الاله الأب ..

ويستاء الأب مما قاله ابنه الذى يضحك ويقفز .. ويعد
أباه بأنه سيذهب الى الكلية ليتخرج فيها رساما .. وليكون
أحسن من بيلى براون .. ولأن الكلية على كل حال خير من
بيت أبيه .. ثم يقهقه وينظر الى السماء .. ويقول لأبويه ..
هلما .. هلما نبحث عن القرد الذى فى هذا القمر !

ثم يخرج الجميع ..

وتدخل فتاة جميلة رائعة شقراء تندفق حياة وتطلق
محياها محبة .. فاذا هي هذه الفتاة مارجريت التي يتنازع
الغرام بها والفناء في محبتها كل من بيلى براون .. وديون
أتونى .. ويدخل في أثرها بيلى .. عاشقها الولهان الذي
يذوب وجدا وصبابة .

تدخل مارجريت وهي تغنى في ضوء القمر وهي تغنى
أغنية « البدر الذي لا يعرف المحاق » فاذا بيلى الولهان
يستزيدها ، ويقول لها : انها أغنية رباعية ، وانه لا يحفظ من
الشعر شيئا مطلقا ، مع أن ديون أتونى يحفظ منه الشيء
الكثير .

يقولها هكذا في بلاهة .. ولا يكاد ينطق باسم ديون حتى
فرى مارجريت تطرب لسماعها اسم الفتى .. وحتى نحس كأن
قلبا يكاد يشب الى أذنيها ليتلقف الاسم قبل أن يطرق سمع
الفتاة .. الحسناء الشقراء ..

ويغص بيلى بريقه .. وكلما حاول أن يلفت مارجيت الى
أنه هو أيضا يجها ، بدت كأنها لا تسمع .. بل راحت تثنى على
ديون وتقول : « انه يختلف عن جميع الآخرين .. انه يستطيع
أن يرسم رسما جميلا .. وأن ينظم الشعر .. ويعزف
الموسيقى .. ويغنى ويرقص .. وهو يقوم بهذا كله في مهارة

وعبقرية .. وبالرغم من ذلك فهو يبدو دائما حزينا .. خجولا
كالطفل .. ثم .. ثم .. أنا أحبه .. ويحلو لي دائما أن أمر
بأصابعي خلال شعره .. وهو يعرف ما يخالجنى من هواه ..
ويخامر قلبي من حبه .. آه يا ديون .. أحبك .. أحبك ..
أحبك :

فاذا حاول يبلى أن يكون له هو أيضا نصيب من حبه ..
وهم أن يقبلها .. لبست مارجريت قناعها لتعود الى حالتها
العادية .. ولتقول لبيلي انها تحبه حقا ، ولكن كما تحب
الأخت أخاها ..

فاذا آيس يبلى من مارجريت قال لها : لا بأس .. انه أفضل
أصدقائي على كل حال .. وسأعرف كيف أستفيد من هذه
الخسارة .. وحسبى أن أكون لك صديقا يا مارجريت ..
ثم تلبس مارجريت قناعها لتعود الى روحانية الحب وتقول :
« أنا البحر وديون القمر .. فماذا لو عائق القمر البحر وقبله ..
كم أود أن يترك ديون السماء وينزل الى .. وكم أود أن
ينجرف موج دمي نحوه فيبارح قلبي ويتبع هواه ! (ثم تهمس
في طفولة) ديون .. مارجريت .. بجى .. بجى حبيبة ديون .. » :
ويقول لها يبلى انه ذاهب للقاء ديون وليخبره بأنها

هنا .. فلا تبالي مارجریت بما تسع .. بل تستمر في نجواها
تقول :

« سأكون مسر ديون .. وسيكون ديون لي .. لي أنا
وحدي .. سيكون ولدى الصغير .. طفلي .. سيفرق القمر
في أمواج قلبي .. ويعوض آمننا في أمواج البحر » .
وتنطلق مارجریت الى الخارج وهي تنظر الى بدر الليل
السارى .. تاركة وراءها بيلى .. ولا تكاد تمضى لحظة حتى
ترى ديون يدخل مسرعا وعلى وجهه قناعه .. فاذا جلس على
احدى أرائك الملهى كشف عن وجهه قناعه فبدا وجهه المكتئب
الحزين الرقيق .. ثم أخذ في نجوى طويلة لا ينفك يسأل
نفسه خلالها هذه الأسئلة المهمة التى تصور لنا شخصيته
تصويرا بارعا ! .. « لماذا أخاف من الرقص ، أنا الذى أحب
الموسيقى والايقاع والجمال والغناء والضحك لماذا أخاف من
الحياة ، أنا الذى أحب الحياة وجمال الجسد والألوان الحية
في الأرض والسماء والبحر ؟ لماذا أخاف من الحب أنا الذى
أحب الحب ؟ لماذا أخاف وأنا الذى لا يخاف ؟ لماذا أتظاهر
باحترار الناس وأنا الذى أشفق على الناس ؟ لماذا أتوارى في
احتقار نفسى من أجل أن أفهم ؟ ولماذا أخجل من قوتى كل هذا
الخجل ، وأزهى بضعفى كل هذا الزهو ؟ لماذا أعيش في ققص

كما لو أنتى مجرم أكره الناس وأتجدهم .. وأنا الذى أحب
الصدائة والوئام (وناظرا الى السماء) لماذا خلقتنى بغير جلد
يا الهى بحيث اضطرت الى استعمال درع تصوننى من الناس
وتصون الناس منى ؟ (ثم يضع قناعه على وجهه) .. أيها الاله
الأزلى لماذا خلقتنى على الاطلاق ؟ لماذا بحق الشيطان ! » .
ويدخل بيلى فجأة كالذى يبحث عن ديون فيقول له :
« أتجلس هنا هكذا ومارجريت تنتظرك ؟ هيا أيها المعتوه ..
اليها .. اليها ...

ولكن ديون ينظر الى بيلى ليقول ساخرا : « الرب يبارككم
يا أولادى ! » .
يريد أن يقول انه يعرف أن بيلى يحب مارجريت .. وأنه
يتنازل له عنها ..

ولكن بيلى يؤكد له أنها لا تحب سوى ديون .
ويتجهم ديون ويقول : نعم .. أنا أحب بجى — أى
مارجريت — ولم لا ؟ انها تحب وأنت تحب .. وكل الناس
يجنون .. العالم كله له حبيب يحبه .. الله يحبنا جميعا ونحن
نحبه .. والحب كلمة .. شبح كل كلمة .. رث الثياب
مكشوف الوجه يستجدى الحياة على كل باب ومهما كلفه
ذلك من ثمن ..

ويقول له يبلى انه مستعد لأن يسكن واياه في الكلية في
غرفة واحدة ليراقب سلوكه .. ثم ينصرف .. وهنا يضع ديون
قناعه على وجهه ويقول :

أيها الاله الذى فى القمر .. هل سمعت ؟ انها تجنى ..
وأنا لست بخائف .. اننى قوى .. وأستطيع أن أحب .. ان
مارجريت تحمىنى .. وذراعاها تطوقانى فى رفق ولين ..
وسأشعر بالدفع فى جوارها .. انها جلدى .. انها درعى ..
لقد ولدت الآن .. » :

وتدخل مارجريت وقناعها فى يدها فيثب نحوها ديون
فتذعر الفتاة وتراجع ثم تلبس قناعها وتسأله : « من أنت ؟
لماذا تنادىنى .. أنا لا أعرفك ! » .

فاذا باح لها بحبه اتهمه بأن سكران .. وهنا ينتزع قناعه
من فوق وجهه فتعرفه مارجريت .. وعند ذلك يطوقها
بذراعيه .. وتعترف له بحبها وهو يقول لها : « انك نجم
سمائى وطالع سعدى .. وعيناك بحيرتان زرقاوان تنساب
فيهما أحلامى الذهبية .. وجسدك شجرة حور بيضاء نظرة
تتمايل تحت شفتى الربيع ! .. استرخى يا مارجريت .. أطلقنى
للدنيا العنان .. لنولد من جديد .. ولتذوبى فى الندى .. فى
الصمت .. فى الفرح .. فى الاله الكبير بان ! .. ثم .. لقد آن

الأوان لكي تتعلمي .. تعلمي لتكذبي كما يفعل الآخرون .. »
وهكذا .. كلما وضعت مارجریت قناعها أنكرت ديون ..
وكلما رفعته عادت الى حبه والتعلق به ..

ويقول لها انه سوف يتزوجها لتصبح مسز ديون أتونى ..
فتطرب أيما طرب .. وهنا يلفها بذراعه .. ويرحان الملهى
الغارق فى ضوء القمر .

وهكذا تنتهى تلك المقدمة الشعرية الرمزية الجميلة ..
أو ال Prologue اليونانى الذى كان يقدمه الشاعر للجمهور
يشرح به موضوعه ويلتمس من هذا الجمهور العون
والتشجيع .. ويقدمه لنا أوئيل اليوم لغرض مختلف .. وليقدم
الينا بعد ذلك فصول المسرحية الأربعة ، التى يبدأ أولها بعد
مضى سبع سنوات من هذه المقدمة الشعرية الرمزية الجميلة ..
انا الآن فى غرفة متواضعة فى منزل ديون أتونى الذى
نراه وقد علق قناعه فوق صدره ليظهر لنا وجهه .. وجهه
الطبيعى الذى بدأ الآن شاحبا عزم صاحبه على أن يعتزل الناس
وأن ينسحب من الحياة بعد أن تقدم به العمر .. وزهد فى
العيش .. كما بدأ القناع هو أيضا أكبر سنا الآن .. وأكثر
تهكما .. كما بدأ الاحتقار فى نظراته أشد حدة ومرارة ..
وتغيرت فيه سمات الاله بان واتخذ صورة الشيطان ..

مفتوفوليس .. وراح يعيـث فسادا وينتلف ويدمر ..
ويتناول ديون نسخة من العهد الجديد ويقلب صفحاتها
كيفما اتفق ، ثم يشير باصبعه ليقراء الآية : « الى جميعا ايها
المثقلون بأعبائكم وسأهبكم الراحة والخلود » . وينظر حوله
ذاهلا محتارا .. وينبس قائلا : « لسوف آتى اليك .. ولكن ..
أين أنت ايها المنقذ المخلص ؟ » ويسمع صوتا فى الخارج
فيضطرب ويسرع الى قناعه الساخر فيجعله على وجهه ويقول :
« يا للمسيحية التليدة .. يا للأم الراسخة البنيان ! » .

وهنا تدخل مارجريت فى ملابس أنيقة ومعطف من الفراء ..
الا أنها الآن أكبر سنا .. وأكثر نضجا .. لقد أصبحت أما ..
وأما لثلاثة أولاد .. وبالرغم من ذلك فديون نفسه أكبر هؤلاء
الأطفال .. اننا نفهم من حديث بينهما أن ديون زوج كسول لايسعى
فى طلب الرزق .. وهو دائما ثمل .. وقد اضطروا الى بيع
منزلهم ليأكلوا .. ولم يبق من ثمن البيت الا مائة دولار ..
وديون رسام يستطيع أن يرسم رسوما بارعة فلماذا لا يعمل ؟
لماذا لا يعمل عند بيلى براون الذى قابلته مارجريت فى الشارع
وقال لها ان ديون يستطيع أن يرسم فلماذا يهمل الرسم ؟ انه
يستطيع أن يلقاه فى داره ليتفق معه على العمل ..

وتثور النخوة فى رأس ديون فيرفض أن يصبح عبدا ذليلا

لوليم براون .. أى بيلى .. الذى يعرف هو أنه كان يجب
مارجريت .. وربما كان لا يزال يحبها .. ان الكبرياء تمنعه
من ذلك ، ولو مات هو وأولاده جوعا ..

وتبتسم مارجريت ابتسامة حزينة .. راضية مع ذلك ..
وتقول .. « لا بأس .. اذن فلأعمل أنا .. ولأقبل تلك الوظيفة
المعروضة على فى المكتبة : .. » ويهز هذا قلب ديون .. ويأذن
لزوجته بلقاء بيلى لتتفق معه على عمل ديون رساما عنده ..
لأن « الكبرياء قد ماتت .. وطوبى للمتواضعين لأنهم سوف
يرثون القبور .. وطوبى للمساكين بالروح لأنهم عمى
لا يبصرون ! » .

ويتغير المنظر لنكون مع مارجريت فى مكتب بيلى براون
الذى يرحب بها ترحيبا (عميقا !) وتهنئة مارجريت على
ما أصاب من نجاح فى ميدان المعمار .. فيشكرها بيلى ،
ويحدثها عن تصميم دار للبلدية يعترض عليه المسؤولون
ويطلبون ادخال بعض الرسوم عليه حتى لا يبدو فى صورة
الأضرحة اليونانية .. فتستدرجه مارجريت ، وتذكر لها ديون ..
ديون زوجها الذى قال لها عنه منذ أيام انه يجيد الرسم فلماذا
لا يعمل ..

ويقول بيلى انه سمع أن ديون مأزوم ماليا .. وانه سمع

أيضا أن مارجریت تقدمت بطلب لوظيفه في المكتبة .. فلماذا كل هذا ؟ وهو محتاج الى رئيس مقتدر لمساعدته في المكتب .. فلماذا لا يكون ديون هذا الرئيس الى أن يعاوده مزاجه في الرسم فيشرع فيه ؟ لقد باع ديون نصيبه في الشركة بعد موت أبيه وخروجه من الكلية قبل أن يتم دراسته بها لوالد بيلى ، ولولا ذلك لأصبح شريك بيلى براون في العمل ..

ويقسم بيلى براون أنه يود من قلبه أن يصبح ديون — هذا العبقري ! — شريكه في العمل .. ويستحلف مارجریت أن تتحدث اليه في ذلك ، وألا يجعل لكبريائه سبيلا في أن تضطره أو تدفعه الى الرفض .

وتعدده مارجریت .. وتنصرف بعد أن حققت غرضها .. أو قل .. حلمها .

ونقفز قفزة أخرى حين يتغير المنظر لنكون في منزل تلك البغى العاهر سييل .. وفي الحجرة التي تستقبل فيها أصحابها (!) .. ونرى في الغرفة بيانو عليه منبه ، وعليه أيضا قناع سييل .. كما نرى أخانا ديون أتونى وهو مستلق فوق إحدى الأرائك وقد راح يغط في نوم عميق .. وقناعه واقع على صدره .. ووجهه الغافي يتقلب بين الشحوب والكتابة وبين الطهر والروحانية .

أما سييل ففتاة شقراء في حوالى العشرين .. تتدفق صحة
وتتبرج شهوانية .. ذات نهدين بارزين ، وردفين ثقلين ،
وعينين حالمتين خبيثتين تلتظي فيهما جمرات الغرائز المثيرة ..
وقد راحت تمضغ في فمها الفتاك قطعة من اللادن كما تمضغ
البقرة الوحشية قضة من الكلا الأخضر اليانع .

وتبوظ سييل أخانا ديون بعد أن تضع يدها البضة على
جبينه فينهض مذعورا وهو يقول : « ووضع يديه عليهم فاذا
هم مبرؤون » ثم يفتح عينيه ليسأل الحورية التى أمامه :
« ماذا ؟ من ..؟ أين ..؟ من أنت ؟ » ويتناول قناعه فيجعله
على وجهه .

ونفهم من جواب سييل أنها عادت الى منزلها فوجدت
أخانا مخمورا ونائما على السلم فأخذتها الرحمة به وأدخلته
الى شقتها حتى لا تتعرض هى بسببه لمتاعب كثيرة .. وحتى
لا يذهبوا به الى السجن .. » .

ويقول لها ديون فى انذهال : « طوبى للرحماء يا أختاه !
فعلتها وأنا مفلس ؟ ! لكنك ستنالين أجرىك فى السماء » .
وتضحك سييل المتوحشة وتقول : « اطمئن .. فأنا
لم أضع أجرى .. ولماذا أضيعه ؟ .. ألم تكن سعيدا هذه
الليلة ؟ ! » .

ويقهقه ديون ويقول : « يا للروعة ! فأنت اذن لست من دعاة الأخلاق ! » .

فتقول له : « وأنت أيضا فتى طيب .. والآن .. هلم الى بيتك قبل أن يوصدوا دونك الباب ! » .

ولكن .. أى بيت ! لقد قلبت الفتاة دماغه .. وهو يطلب منها المزيد .. وهى لهذا تتناول قناعها فتلبسه .. ولتبدو فيه شيطانة تستعيز منها الشياطين .. ولتسأله أن يفصح عن نواياه غير الشريفة ، لأنها لا تستطيع أن تقضى الليل بطوله مع زبون واحد .. « فهات لعبتك أيها الشيطان الصغير ! » .

ولكن ديون يخلع قناعه فتخلع هى أيضا قناعها .. ثم يتعابنان ، ويطلب اليها ديون أن تسمح له بأن يكونا صديقين .. فتقول له : « صديقين ولا أكثر ؟ » ويجيبها : « بل صديقين ولا أقل ! » .

ويدق الجرس ، وتفتح سيبيل .. فاذا الطارق : يبلى براون ! يبلى براون الذى يسقط فى يده ويعشاه الخجل الشديد ، اذ يكون وجها لوجه هكذا مع ديون .. وفى هذه المباءة القذرة ..

ويحتج يبلى براون بأنه كان يبحث عن صديقه فى كل مكان بالمدينة .. وأنه لم يدر فى خلدته قط أن يجده هنا .. فأما وقد

وجدته ... فهو يعرض عليه أن يكون مساعده الأكبر كما طلب
من مارجريت أن تعرض عليه .

واذ يبلغ الحديث هذا الحد يضحك ديون ساخرا مستهزئا ،
لما يلاحظ من محاولة بيلى أن يغطي على فضيحه في مجيئه
الى هذا المكان .. ثم هو يضحك لأن مارجريت سعت سعيها
بالفعل .. وعند من ! عند الحبيب القديم .. فاذا دافع بيلى
عنها قائلا بأنها انما كانت تسمى لمصلحة براون الذى أضع
ما ورثه عن أبيه في الشراب والمقامرة و .. الفسق .. أغرق
ديون في الضحك .. واستدرك قائلا انها انما كانت تسمى
لمصلحة الزوج .. أى كاسب القوت .. « أيها الأحق ! » .
ويتفقان آخر الأمر .

ويسأله ديون عما اذا كان كرمى أبيه هناك .. أى فى
الشركة .. ويجيبه بيلى انه لا يتذكر .. فينتزع ديون قناعه
ويقول : « أحب أن أجلس حيث جمع هو ما بددته أنا ..
لشد ما كان أحدنا غريبا عن الآخر ! يوم رقد وقد فارق الحياة
بدا لى أن وجهه ليس غريبا على .. حتى لقد حرت وساءلت
نفسى : أين يا ترى التقيت بهذا الرجل من قبل ؟ اننى لم ألتق
به الا لحظة ميلادى .. وبعد ذلك دب الخلف بيننا ، وأخذ
ينمو ويشتد ، وينمو معه الخجل المتوارى .. وماذا جرى

لامى ؟ لقد كنت أنا اللعبة الوحيدة التى سمح لها بها هذا الرجل .. ذلك الأب الوحش .. وأتذكر حينما ماتت من الهم أننى صرخت وطلبت اليهم أن يدفنوني معها .. ولما عرفت ألا فائدة من البكاء .. تراجعت .. وعلت الى الحياة بأعصاب عارية متوفزة .. ودار الزمان دورته .. واذا بفتاة أخرى تناديني فى ضوء القمر .. وتدعوني ولدها .. وتتزوجنى .. وهكذا كان لى فيها ثلاث أمهات التقين فى شخص واحد .. أما أنا .. فرحت أسعى على كفى لكى أرى الله (وهنا يلبس قناعه) الا أن ذلك « الساخر العتيق » أعشى بصرى ، فكان على الآن أن أكف عن البحث عنه .. وأن أتجه بدلا منه الى « الاله الواحد الجاد الناجح الموجود فى كل مكان .. الى الاله الكبير مستر براون ! » .

ويسكته يبلى براون .. ويطفىء النور .. ويخرجان .. ونسمع ديون يقول على بعد وبصوت هامس : « أنا الشاة وقد جتزء صوفها فأصبحت عريانة جرداء .. فهيا سقها برفق أيها التقدير براون ! » .

ونصل الى الفصل الثانى — لكننا فصل اليه بعد سبع سنوات من نهاية الفصل الأول .. سبع سنوات كالتى مضت

بين المقدمة وبين الفصل الأول .. ونكون في بيت سييل
أيضا .. سييل بنت الهوى التى بلغت الآن السابعة والعشرين
من عمرها .. ولا تزال تحتفظ بجمال وحشى صارخ .. ويكون
أمامنا البيانو أيضا .. ومن فوقه قناعا سييل وديون .. الذى
يبدو أنه أصبح زبونا مزمننا فى هذا الماخور !

انا نراه هنا أيضا .. نراه وقد وخط الشيب رأسه قبل
الأوان .. فهو فى الثانية والثلاثين من عمره .. ومع ذلك يبدو
وجهه كوجه ناسك عضه الألم وعذاب النفس ، الا أنه يفيض
بثورانية داخلية وطيبة انسانية واشراق باطنى .

لقد جلسا يلعبان الورق على أنعام البيانو الآلى الذى
تصف سييل أنعامه فتقول انها تفيض بالشجن ، وتجعلها
تعرف دخائل النفوس .. لأن الموسيقى بكاء النفوس
وأفراحها .. أما ديون فيصف هذه الأنعام بأن كلامها ترتيلة ..
ترتيلة تحاول أن تجد الكلمة التى كانت فى البدء !

وتضحك سييل وتقول : « وعلى ذكر الموسيقى .. ان
مستر بيلي براون يكره هذا الصندوق ويود أن تقذف به من
هنا .. » .

ولا تكاد تذكر اسم براون حتى يتجهم ديون ويثب الى
البيانو ليتناول قناعه ويجعله على وجهه .. القناع الذى يبدو

الآن وبعد سبع سنوات جامعا لكل سمات الشيطان ..
مفتوفوليس ..

وتمضى سبيل في حديثها فتقول : « .. ولكنى طلبت من يبلى
ألا يتحكم فيّ تحكم الأزواج لمجرد أنه قام باعالتى ، والنفقة
على ، بضع سنوات .. » .

وترفع سبيل وجهها فترى مفتوفوليس فتبتسم وتقول :
« الغيرة مرة أخرى ؟ » .

ويسألها ديون عما اذا كانت لا تزال تحب براون ؟ وتهزأ
به سبيل .. وبالحب أيضا .. وتقول ان براون شاب وسيم
حقا .. وصحيح ومعافى .. بالرغم من كثرة آثامه .. لكنك
تبالغ حينما تظن أن للحب أهمية بالغة .. فكيف ؟ .. ان الحب
مجرد شيء من أشياء كثيرة يقوم بها الانسان ليحافظ على
استمرار الحياة ! ..

ويسألها ديون عما اذا كانت قد كذبت عليه حينما قالت
له انها تحبه ، فتقول له :

« انك يا طفلى لن تكبر أبدا .. كنا صديقين طوال سبع
سنوات .. ولكنى لم أسمح لثغسى أبدا في أن ترغب فيك .
ولا لنفسك في أن ترغب فيّ ! .. » .

وعند ذلك يخلع عنه قناعه ويرتمى عند قدميها ذليلا ثم

يضع رأسه في حجرها ، فتقول له : « قم .. قم وانصرف الى زوجتك .. لشد ما أحزن عليكم أيها الرجال حتى لأود أن أجرى عارية لأمنحكم جميعا ذلك الترياق الذى يجعلكم تنسون كل شيء » .

وإذا قال لها ديون ان زوجته استدعت طبيبا فقال ان قلبه ضعيف ويوشك أن يقف ولهذا فهو يمنع من الشراب .. راحت تسخر منه ومن طبيبه ومن زوجته .. فاذا هو .. يطلب شيئا من الشراب !

ويخبرها أنه أصبح ضرورة في أعمال بيلى براون الذى لم يعد أحد يقبل أعماله الا اذا تناولها هو بلمساته .. ليشيع فيه الجمال والروح .. والفن .. لكنها تطلب اليه أن ينصرف .. فاذا اتجه نحو الباب دعتة اليها لتذكره بأنه نسى أن .. يقبلها .. ثم يخرج وهو يصفر في هدوء ولا يكاد .. حتى يدخل بيلى براون .. وعلى وجهه مسحة من الغضب ، لأنه كان قد طلب من سييل أن تشجعه على المجيء الى هنا .. لأنه زوج .. بل أب وله أبناء .. لكن سييل الخيثة لا تهتم بما يقول وتسأله : « ألسنت تحب زوجته ! اه ! ألسنت تحب مارجریت؟ » ويثور بيلى ويسألها بدورده : « اذن فأنت عشيقة ديون ! بالله ! خبرينى ما الذى يجعل لديون كل تلك الجاذبية للنساء ؟

أهى نظراته .. أم نزواته .. أم جموحه وجنونه ؟ « وتجيئه
سييل انهن يحبينه لأنه ممتلىء حياة ! وهنا يتناول يدها
ويغمرها بالقبل ، ويرجوها أن تنسى ديون وتتخلى عنه .. وأز
تكون له وحده .. وفى مقابل ذلك يضع تحت يديها ما تستغنى
به عن الناس جميعا .. مقابل شىء واحد .. هو ألا ترى
ديون ..

وتقول له بل ديون هو الذى لن يراها .. وفى حزن
عميق .. تعده بما طلب وبهذا ينتهى المنظر الأول .



فاذا كان المنظر الثانى ، من الفصل الثانى ، كنا فى مكتب
الرسم بشركة مقاولات المستر وليم أ . براون المعمارية .. أى
مستر بيلى براون . وها نحن نرى ديون جالسا يقرأ لقناعه
المطروح أمامه من كتاب « تقليد المسيح » وفى وجهه لمحة من
نورانية القديسين . انه يقرأ : « سرعان ما تبرح هذه الأرض ،
وحينذاك ترى كيف تسوى الأمور معك .. آه أيها الأبله ! ..
تعلم الآن أن تموت من أجل العالم عسى أن تبدأ فى الحياة
مع المسيح .. افعل الآن كل ما تقدر عليه لأنك لا تعرف متى
تموت ولا تعرف ما أنت ملاقيه بعد الموت .. » .

ثم يرفع قناعه ويحدق فيه برفق ويقول : « عليك السلام

أيها المعذب المسكين .. ان ساعة خلاصنا آتية .. يا كبرياء
الانسان المعذب المسكين .

ويسمع وقع أقدام فيعرف أن مارجريت هي القادمة .. لقد
أتت المسكينة تبحث عن ديون المسكين الذي لم يدخل بيته
منذ يومين .. ولعله لم يندق فيهما طعاما ، وأن عب كثيرا من
الشراب ..

وتخبره مارجريت أن أبناءه الثلاثة قلقون عليه .. وأنهم
بحشوا عنه في كل مكان فلم يقفوا له على أثر .. ولكن ديون
يضرع اليها أن تغفر له وتسامحه .. لأنه .. راحل .. وقد
يكون هذا هو اللقاء الأخير .. « وغدا .. سأكون قد اتقلت
الى الجحيم الآخر .. أنظري الى زوجك .. أنظري .. هذا
الأسير المسيحي الذي ينوح ويستعطف ويتنكر للحياة ! » .
ثم يخلع قناعه فماذا ترى مارجريت ؟ .. يا للهول ! انها
ترى وجها شاحبا ناشز العظام كوجوه الموتى .. بل شبح ميت
بالفعل ! .. ويفسى على مارجريت !

ثم يدخل أبناءه الثلاثة .. وهم في حوالى الرابعة عشرة
والثالثة عشرة والثانية عشر على الترتيب .. ولا يكادون يرون
أمهم حتى يركعوا عندها يصلون ..
ويقول لهم أبوهم انه راحل ! .. وسيلقى قبل ذلك مستر

بيلى براون .. وسوف تتلقى أمهم مكاملة منه .. أى من بيلى ..
من هناك .. فاذا عاتبوه قطع عليهم عتابهم .. وأوصاهم
بأمهم .. ثم أوصاهم بأن يمتلكوا هم الأرض ميراثا للمارجريت ..
ثم يودعهم وينصرف .

وفى المنظر الثالث .. من الفصل الثانى .. نكون فى مكتب
بيلى براون .. وفى غرفته الخاصة .: وقد جاء ديون ليناقشه
الحساب قبل أن يموت .. وليقول له انه سبب جميع ما يقاسيه
من مصائب .. منذ ذلك اليوم الذى كانا فيه طفلين يلعبان على
شاطئ البحر .. وكان ديون يرسم صورة جميلة على الرمل
فجاء بيلى وجعل ينظر اليه من ورائه .. ولما كان بيلى لا يعرف
الرسم فقد حسد ديون ، وراح يضربه فجأة بعصا على رأسه ..
ويركل الصورة بقدمه .. وهو يضحك .. بينما ديون يبكى !..
ومن يومها أصبح ديون صامتا فى الحياة .: يتخذ لنفسه قناع
الولد الشرير — يان — يعيش فيه ، ويشور على اله ذلك
الولد الآخر .. ويصون نفسه من قسوته .. أما الولد الآخر
فلم يعترف قط بعاره .. وان تحول بالسليقة الى الولد الخير
والصديق الخير والانسان الخير .. وليم براون .

ويصفه ديون فيقول له انه صبار لا شوك فيه .. خنزير

برى مأواه الجبال ثم تحول حلوفا يطعمه العلاف ليجعل منه طعاما .. دون جوان يستعين على غرامه بغدد القرود ..

فاذا تار بيلي وغمز ديون بأنه لا يصلح للقيام بدور بان ..
وأنه أقرب الى باخوس - أو ديونيزوس - شيطان الخمر ،
وأنه يكفر بالنعمة التي أنعم بها عليه بيلي حين أنقذه وأنقذ
أولاده من برائن الفقر .. قال له ديون :

« على رسلك .. فقد كنت أنا عقلك المفكر .. وكنت أنا
التصميم ذاته .. بل أنا الذى أنجحت التصميم .. كنت أسكر ..
وأسخر منه .. كنت أرسم وأسكر لأنقذ زوجتى وأنقذ
أولادى .. انك لم تستطع أن تصمم كاتدرائية قط .. لأنك
لا تستطيع أن تصمم شيئا الا بنايات البنوك .. انك لا تؤمن
الا ببطنك .. ومن اليوم .. لن تستطيع تصميم أى شيء ..
اللهم الا ترميم منزل عشيقتى سييل .. لتجعله بيتا لزوجتى
مارجريت !

فاذا اشتد سخط بيلي قال له يريده :
لماذا لم تستطع أن تجعل امرأة تحبك قط ؟ ولماذا بقيت من
أجل هذا الأخ الأكبر للنساء .. وصديقهن الحميم فحسب ؟
هل بسبب ثقتهن فيك .. أم بسبب احتقارهن لك ؟ لقد أحبت
زوجتى مارجريت ، فلماذا لم تتزوج منك؟ وحاولت أن تشرق

منى سييل كما حاولت أن تسرق مارجريت .. أفلم يكن هذا
وذاك بدافع الانتقام والحسد ؟

ويجن جنون ديون وتخور قواه .. فاذا هو ينتقل الى
طرف الخيط الآخر .. وبعد أن يسقط قناعه عن وجهه .. فيبدو
كوجه الشهيد المسيحي المشرف على الموت .. واذا هو يقول :
« سامحنى يا ييلى .. سامحنى وادفننى .. وارنى التراب
وائسنى حتى تعيش سعيدا .. وعسى أن تحبك زوجتى
مارجريت .. وطوبى للمساكين بالروح ! » .

وينزعج ييلى برون .. ويصلى متمتما : « أبانا الذى فى
السوات ! » .

ويردد ديون ! « أبانا .. » لكنه لا يتما .. ويسلم
الروح ..
يا عجبا !

ان الموت الذى كان يزعج ييلى قبل أن يموت ديون ،
لم يعد يزعجه بعد أن مات ديون بالفعل .. انه يقول فى خمول
وبلادة : « لقد مات آخر الأمر .. » ويكررها فى ذهول ..
لكنه يقول بلهجة المنتصر بعد ذلك : « آخر الأمر ! .. » ثم
يقول وقد بدا له وجه ديون الميت .. وجهه الحقيقى : « اذن
فهذا هو أنت أيها المسكين الذى كنته فى الحقيقة .. ولا عجب

أن كنت مخبوءا .. ولم أكن أخاف الا من قناعك ! أفأنت
اذن الذى أحبته مارجريت .. هذا الرجل الذى أعطانى نفسه .

ثم يحاول أن يلتقط القناع ويضعه على وجهه .. لكن دقا
بالباب يصرفه عن ذلك .. واذا هو ينقل جثة ديون خلف الجبهة
اليسرى وينادى .. « من بالبواب ؟ » .

واذا التى تدخل هى : مارجريت !

وترى الزجاجة التى كان يعب منها ديون فتقول ضاحكة
انه كان أقسم لها بأنه لن يذوق الخمر .. فما تلك ... ؟
ويطمئنها بيللى .. ويقول انه هو الذى كان يشرب . فاذا
سألت عن ديون أين هو ؟ ، قال لها انه فوق .. يأخذ حماما ..
وانه ذاهب ليدعوه ويأتى به !

ويدخل أبناءها فيحيطون بها .. ويزأطون .. وتسألهم
عما اذا كانوا يحبون مستر بيللى برون ؟ ويؤكدون جميعا أنهم
يحبونه .. فهو رجل ماهر وخير .. وهم يحبون أباهم أيضا ..
بالرغم من ادمانه .

وتصرف مارجريت أبناءها حتى يهدأ الجو لأبيهم المرهق
الأعصاب فيستجيبون لها ، ويخرجون .. ولا يكادون حتى
يدخل بيللى .. بيللى الذى لبس قناع ديون .. ولهذا

تأخذه مارجریت ملء ذراعيها .. كما يأخذها ملء ذراعيه ..
ويطبع على ثغرها الحبيب قبلة كبيرة ملتهبة .. فتدهش
مارجریت .. لأنه في رأيها لم يكن يقبلها ، هكذا .. وفي مثل
تلك القوة والعنفوان .. منذ أمد بعيد .. فماذا جرى ؟ ..
حتى صوته قد تغير .. كما تغير كل شيء .. ألا ما أسعدها !
ويقول لها بصوت مختنق : هيا .. هيا نذهب الى البيت .
ويطوقها بذراعيه القويتين .. ويخرجان :

* * *

ونصل الى الفصل الثالث وليس معنا ديون.. انه لن يكون
معنا الا بروحه !

فنحن الآن في مكتب بيلى براون .. وقد جلس رسامان
في غرفة الرسم ، المتصلة الآن بباب في جدار بينها وبين مكتب
براون يرسمان .. ويثرثران .. ويعجبان لانقطاع ديون عن
العمل طوال هذا الشهر .. ولفصل بيلى جميع موظفيه القدامى
فجأة ومرة واحدة .. ولتغير أطواره تغيرا غريبا ..

اذن فلا أحد يعرف مصير ديون غير مستر بيلى براون ..
وتدخل مارجریت فتعجب من تغير مكان زوجها .. وتعجب
أكثر من قول الرسامين ان مستر براون قد أصدر أوامره
بتوفير جو من الهدوء لديون .. فاذا سألت مارجریت أين

يوجد زوجها .. أنكرا معرفة ذلك .. حتى يدخل يلى براون
بقناع مشابه لما كان عليه في المنظر السابق .. ويصافح
مارجريت التي تبادله التحية بصعوبة وريبة .. فاذا سألت أين
زوجها أشار باتقالهما الى مكتبه الخاص ليشرح لها الأمر .
ويقول براون ان ديون مشغول بتصميم لمبنى الحكومة
الجديد .. وعلى هذا التصميم يتوقف مستقبله .. وهو اذا
نجح فيه أصبح شريكا لبراون.. ويسألها متخابثا : « ألم يخبرك
بذلك ؟ » فاذا أجابت أن « نعم » قال لها : « لذلك هو يجس
نفسه استتبابا للهدوء وعملية الخلق التي تستلزم هذا
الهدوء .. » .

ولا يستطيع يلى أن يصل جبل نفاقه أكثر من هذا .. انه
ينفجر فجأة ليروح لمارجريت بحبه القديم الذي لم يعره البلى
قط .. وهو لهذا يطلب منها أن تتناسى ديون .. وأن تتناساه
الى الأبد .. وأن ترحل معه الى أوربا ليقما فيها عامين :
« انه يا مارجريت .. وفكرى فى أنا .. فأنا أحبك ..
أهجره .. وتعالى معى نرحل .. سأبيع ما أملكه هنا .. ونسافر
الى الخارج لنتمتع ثم بالسعادة .. » .

وتحسب مارجريت أن برون قد جن .. أو مريض على
الأقل .. وتكاد تستدعى له طبيبا .. لولا أنه يرفع قناعه ، فاذا

هو متطامن كالحمل ، واذا هو يعتذر مما صدر عنه ويرجوها
أن تنسى ما قاله .. وأن ما حدث لن يحدث مرة ثانية .
وتخرج مارجریت .. فاذا هو يتناول قناعه ويقول له
محددًا فيه : انك ميت يا وليم براون .. ميت لا يرجى له بعث
أو نشور .. ان ديون الذى دفنته فى حديقتك هو الذى
قتلك .. » .

ويطرق الباب طارق فيقطع عليه نجواه .. انه رجل ثرى
كان قد كلف براون بتصميم عمارة تبلغ نفقات بنائها نصف
مليون من الدولارات .. لكن التصميم لم يرقه .. لقد أتى
تصميما كريها لا ذوق فيه ولا حياة ولا جمال .. انه تصميم
أشبه بضريح الموتى منه بمنزل لسكنى عين من الأعيان
الوجهاء .. ان الرجل يطالب براون بأن يعهد بالتصميم الى
هذا الرسام الماهر المدعو ديون .. أتتوني ديون .. فأين هو !
لماذا فصلته من العمل .. ؟

« اطمئن يا عزيزى .. انه لم يفصل .. وسأحيل اليه
التصميم لتنفيذ رغباتك ! » .

وننتقل الى المنظر الثانى فترى يلى براون يجلس فى ضوء
مصباح خافت ليقب النظر فى قناع ديون مرة ، وفى قناعه هو

مرة ثانية .. ثم اذا هو يخاطب قناع ديون قائلاً انه لا سبيل الى تجنب الفضيحة بعد اليوم .. وانه لا بد من تنفيذ الخطة التي اتفقا عليها بعد أن أتما وصيتهما والتي ترك فيها براون جميع أمواله لأتوني ديون .. وألا بد من السفر الى أوروبا ليم اغتيال براون هناك .. « أما براون الذي يعيش في داخلك » .. أى فى داخل ديون فسيش هو ومارجريت حياة سعيدة أبدية.. وسوف ينجب منها أطفالاً .

ويخيل اليه أن أصواتا تصدر مستهزئة من داخل القناع فيقول بازدراء : « على أى حال هذا لا يهمنى .. فأولادك يحبوننى الآن أكثر مما أحبوك .. ومارجريت تحبني أكثر .. فهل تظن أنك ظفرت لآتنى ذهبت أتوارى داخلك لكى أعيش من خلالك ؟ .. كلا يا صديقى .. وما عليك الا أن تنتظر لترى أن مارجريت بمرور الزمن تحب ما يكمن فى داخلى .. وعندئذ أعترف لها بأننى سرقت مكانك .. ففتحهم .. وتعفو .. وتقع فى غرامى ! .. » .

ثم يتناول قناع ديون ويجعله على وجهه ويقول : « أنا الآن أتعاطى قوتك يا ديون .. قوتك على أن تحب .. وعلى أن تموت وتنام وتصير تراباً خصباً مثمراً .. كما أنت فى حديقتى الآن .. ففى ضعفك ازدهارى .. تعال معى يا مستر أتونى

طالما أن عريس مارجريت يرتدى ملابسك ، فأنا أحتاج الى
الشیطان عندما أكون فى غسق الظلام ! » .

ثم یدخل الغرفة المجاورة لیلبس ملابس دیون .. ویخرج
لیقول لقناع دیون : « أنا أحبک لأنها تحبک .. وها أناذا
أطبع قبلاتى على شفתיك من أجلها هی .. » .

ثم یلبس قناع دیون ویقول : « هیا لننطلق من الباب
الخلفى .. یجب ألا أنسى أننى مجرم یائس .. تطارده نفسه ..
ویطارده الله ! » .

وفى المنظر الثالث الذى یدرى فى منزل مارجريت الذى
مر بنا فى المنظر الأول من الفصل الأول .. نرى بیلى براون
— تحت قناع دیون وفى ملابسه — وهو یزور مارجريت
زیارة صاخبة یتبادلان فیها القبلات الحارة وألوانا من العناق
المضطرب .. وهى تبدى له عن فرحها به وعودة أيامها
الخوالى بكل حبها وحرارتها وخصبها .. وتعترف له بأنه
جعلها من جدید انسانیة سوية سعيدة .. سعيدة جدا .

وهنا ینتهز بیلى فرصته فیسألها : « اذن فأنا جعلتك
سعيدة .. وأسعد من أى وقت مضى .. ولا یهم ما یحدث ..
بل هذا یبرر كل شیء !

وتجيبه مارجريت : « طبعاً .. هذا يبهر كل شيء ! .. وقد أصبح الأولاد راضين عنك لأنك لم تعد عصياً كما كنت من قبل ! » .

وتحدثه عن « براون » .. و « متى بأخذك شريكاً له ! وهل صحيح أنه سيترك لك المسؤولية كاملة عندما يسافر الى الخارج ؟ .. اننى لا أثق فيه ولا فى وعوده مطلقاً » .
فاذا سألها لماذا ؟ أجابت :

« لا شيء .. أمر سخيف جداً .. لقد أخافنى وجهه الذى كان شبيهاً بوجه الجثة حينما راح ييوح له بحبه .. فلما نهرته لم ينشب أن يعتذر لى .. مسكين بيلى هذا ! » .
ويصرخ بيلى براون الذى يلبس قناع ديون :
« أجل .. مسكين .. مسكين بيلى .. ولكنى سأقتله من أجلك .. وسأقدم اليك قلبه على طبق فى طعام الافطار ! .. اننى سأغتال من أجلك هذا الاله الكبير براون الذى يقف كالعجل السمين فى طريق سعادتنا وصحتنا وثروتنا ! » .

وترجوه مارجريت ألا يفعل .. لأنها لم تنظر الى بيلى براون الا على أنه صديق .. صديق عجوز .. غبى .. أحق ! ويرجوها بيلى المسكين أن تتركه وحده قليلاً لأن عنده بعض ما يعمل .. فتركه وتنصرف الى الداخل بعد أن يؤكد

لها أنه سعيد .. وانه صافى النفس .. وأنه سوف ينسى ..
وليم براون . أى بيلي براون .. أى نفسه !
ولا تكاد تغيب عن ناظريه حتى يتمتم : « مبنانا الجميل
الجديد يناديك يا مستر ديون .. انا سوف نقتن فى اخفاء
الشیطان القديم صيلينوس .. وتركه يرقص فوق رؤوس
واضعى القوانين ! » .

* * *

ونصل الى الفصل الرابع ، ونكون فى منظره الأول فى
غرفة الرسم المتصلة بباب فى جدار بغرفة مستر براون ، وقد
جلس الرسامان كعادتهما .. يرسمان .. ويثرثران .. ويستخفان
بمستر براون الذى لبس قناع ديون وألقى بقناعه هو جانبا
وراح يخاطب تصميم العمارة الذى أصبح تصميمًا صالحًا
يطرب له الحمقى المجرمون .. ويعجبون بواجهته ذات الأبهة
والجلال التى تكشف له عن نفسها فاذا هى ضحكة اله
(الخمر) بان .. تلك الضحكة الساخرة المتهافئة التى يطلقها
وأذناه مثقلتان بدوى سقوط الحضارات السابقة ، والحضارات
التى سوف تجيء .. تسترقان السمع الى براغيثه وهى تجيز
القوانين التى فيها استعباده واذلاله !

ان براون يرى فى نفسه الآن أنه أصبح كل شىء .. مدير

الشرطة .. ووكيل النيابة .. ومعاون البلدية .. والناخب
وعضو البرلمان .. والحاكم .. والسناطور .. ورئيس
الجمهورية .. وكل شيء ! حتى الاله الخير كما يصفه أكثر
الناس ! ..

ويضحك عليه الرسامان .. ويرثيان له لكثرة ما شرب
من الخمر ..

وتدخل مارجريت غرفة بيلى براون فيتلقاها في تأدب ،
ويسألها عما يستطيع أن يفعل من أجلها . فتقول انه يرهق
ديون بالعمل الى درجة الموت ، وانها ترجوه أن يخفف عنه
حتى لا ينهار بالفعل .. من أجلها هي .. ومن أجل أولادها ..
ويطمئنها براون .. واذا ضحك فجأة وبلا سبب .. وفزعت
مارجريت من ضحكه عاد فطمأنها ثانية .. « لأننى لن أطارحك
الغرام .. وأقسم لك .. ولأننى أقرب الى القبر من أن أرتكب
تلك حماقة .. كما حدث فى المرة السابقة ! » .

واذا أراها الرسم وقال لها ان ديون قد فرغ منه .. طلبت
اليه أن ترى ديون .. فيضحك .. ويستأذنها .. ويدخل غرفة
مجاورة ليلبس قناع ديون .. وملابسه أيضا .. ثم يخرج
لتأخذه مارجريت فى حضنها الدافئ .. ويغيبان فى قبة عميقة
عاطفية .

وتسأله متى يستطيعان أن يبدأ شهر عملهما الجديد فيقول لها ان ذلك قريب جدا .. أسبوع أو نحوه ، ويسافران الى أوروبا .. لكنها تلاحظ أن مستر براون قد أصبح يسرف في الشراب .. ثم تنظر اليه لتقول منزعجة انه يشبه مستر براون ، يشبه تماما .. فيطمئنها .. لأنه يكاد يكون الآن توأمه ..

ثم تستأذن في الدخول عليهما لجنة جاءت لمعاينة الرسم .. وأعضاؤها الثلاثة يقفون الآن في غرفة الرسامين .. فتهم مارجریت بتقييله وترجوه أن يلحق بها في المنزل .. ولكن أحد الرسامين يطرق الباب مؤذنا بحضور اللجنة : يا مستر براون ! ولا يرتبك براون .. بل يستأذن مارجریت في أن تستقبل هي اللجنة حتى يحضر لهم مستر براون ! .. فاذا خرج .. دخلت اللجنة .. لتدهشهم رؤية مارجریت !

وتشير مارجریت الى الرسم وتقول لهم انه كله من عمل زوجها .. زوجها العبقري ديون .. وقد أتمه اليوم فقط ! ويدهش القوم .. لأنهم يعلمون أن ديون ترك العمل هنا منذ زمن .. فاذا عرفت سر دهشتهم ثارت .. ورمت براون بالنذالة والجبين .. والحقارة . ولكن براون يسمعها وهو يدخل لابسا قناعه .. ويسألها عما اذا كانت تكرهه حقا . ?

وتتخاذل مارجريت وتعنذر .. ويعترف براون بأن الرسم هو من عمل ديون .. وما دام يعجبهم .. فهو يتناوله ويمزقه أربع مزق .. ويلقى به في وجوههم .. بعد أن يقول ان قبولهم للرسم واعجابهم به اهانة .. اهانة يلقي بها في وجه نجاحنا هذا المنكود المسمى أتونى .. ديون .. اهانة لكم .. ولى .. ولك أنت يا مارجريت .. وللاله القدير ..

وتفزع مارجريت .. وترميه بالجبن وبالخسة .. وتستنجد بزوجها ديون .. بعد أن تلتقط الرسم الممزق وتضمه الى صدرها ..

وفي أثناء ذلك يغيب براون الى الغرفة ليلبس قناع ديون .. ثم يدخل فجأة ليقول لهم ان المستر براون قد مات .. وانهم سوف يجدونه في الغرفة الصغيرة ..

ثم يتوارى عن الأنظار .. ويسمعونه وهو يثب خاطفا الدرج خطفا ..

ويندفع أحد الرسامين الى الغرفة صائحا : المستر براون قد مات !

ويهتف أعضاء اللجنة بأن ديون هو الذى قتله ! أما مارجريت فتقف باهتة مذعورة .. بينما يدخل أعضاء اللجنة الغرفة الصغيرة ليعودوا منها بقناع براون وقد اصطفوا

في مستطيل .. وكأفهم يحملون شبح القتل .. ويمددونه في
رفق على الأريكة .. ناظرين اليه في صمت وخشوع وحيرة
وبعد لحظة يقترح أحدهم أن يذهبوا لمطاردة ديون ..
فاذا قالت مارجريت ان ديون برىء .. قال أحدهم ..
بل .. لتتصل بالشرطة .. ويحمل سماعة التليفون !

* * *

ثم نتقل الى المنظر الثاني لنكون في مكتبة وليم براون ..
ولنرى قناع ديون فوق المكتب وبراون جاثيا عاريا لا يستره
شيء الا ما يستر العورة .. وقد شخص ببصره الى السماء ..
وراح يصلى لله هذه الصلاة الغريبة التي يقول فيها : « رحماك
يا رحمن يا رحيم يا منقذ الانسان .. انى أدعوك من صميمي ..
رحماك بى .. أنا هذا المسكين الذى خلقته من تراب أرض
غير مقدسة » .. ثم يخاطب ما تثار حوله قائلا : « آسف
يا أبنائى فالاله قد سئنا ورحل عنا الى كوكب آخر .. كوكب
بعيد فتان .. الحياة على ظهره لهيب يرقص ! وبدونه أصبح
حتما علينا أن نموت .. » ثم يخاطب قناع ديون فيقول :
« وأنت يا صديقى ! خلّ مارجريت تعانى .. ودع العالم كله
يعانى كما أعانى .. » .

وينفتح الباب فاذا الداخلة سيميل ! لابسة قناعها ! وفي

ثوب ياباني فضفاض — ونعل يابانية أيضا .. وبشرها الأصفر
المتهدل .

ويناديهـا براون : « سييل .. كيف عرفت أنني هنا ..
لقد كنت ذاهبا اليك !

وتتزع سييل قناعها لتقول له : « أفهذا اذن هو السبب
في انقطاعك عني .. أنت .. يا ديون براون !
ويقول لها انه رفات وليم براون .. ويشير الى قناع ديون
ويقول : « أنا قاتله وقتيله » ..

وتحذره سييل وتنبهه الى وجوب الهرب .. لأنهم فتشوا
بيتها بحثا عن القاتل .. وهم لابد أن يأتوا الى هنا ليقبضوا
على أحد .. أو ليقتلوا أحدا .. ويجب أن يسرع بالفرار .
ولكن براون يدهشنا كما يدهش سييل بقوله لها انه
تعب .. تعب جدا .. ولا يريد أن يسرع .

وتسمع أصوات رجال الشرطة في الحديقة فيمد براون يده
الى قناع ديون قائلا له : « شكرا لهذا الجميل الأخير
يا ديون .. لقد أقبل الآخذون بشارك ! انهم يقفون على قبرك
في الحديقة ! » .

لكنه يلبس قناعه ويناديهـم : أيها العابدون الهكم ..
ها أنذا .. الهكم الكبير براون .. نصحنى بعضهم بالهرب

منكم ولكن قدرتي شاءت ألا أهرب الا راقصا فوق نفوسكم
الذليلة الخاضعة .

ولا يكادون يرونه حتى يبادروه رميا بالرصاص .. واذا
رصاصه نافذة ترديه ..

وتسرع سيبيل الى جانبه فتنزع من يده قناع ديون
قائلة : « لا تستطيع أن تأخذه معك الى الفراش .. عليك أن
تذهب وحدك لتنام .

وتضع قناع ديون في مكانه فوق المنضدة .. ويشتمد
الهرج والمرج في الحديقة .. وتلبس سيبيل قناعها .. ثم يدخل
الشرط شاهرين مسدساتهم نحوها .. ومارجريت من ورائهم ..
والرسم في حضنها لما يزل .

وينظر القائد الى جثة براون فيسأل عن صاحبها سيبيل
فتقول له : انك أنت قتله .. فاتركنى معه حتى أستجوبه !

ويتركها الشرط معه ويخرجون .. فاذا هى تلقى على
براون ثوبها اليابانى الفضفاض .. واذا براون يعالج سكرات
الموت ، ناظرا اليها ، وهو يقول بلهجة شاكرة :
« أيتها الأرض الدافئة .

فتقول له : صمتا يا بيلى . اذهب لتنام .
ويقول لها : سمعا يا أماء .. كان الظلام دامسا فأصابونى .

وتقول : أعرف أنك متعب .

ويقول : وعندما أستيقظ .

فتقول : ستشرق الشمس ثانية !

ويقول : لتحاسب الموتى والأحياء .. أنا لا أريد العدل ..

ولكنى أريد الحب !

فتقول سييل : ولا يوجد هناك غير الحب .

ويموت براون .. وتنحنى عليه سييل قبله .. ثم تنهض

لتنظر في الفضاء وتقول : « أبدا يعود الربيع حاملا في طياته

الحياة .. أبدا .. أبدا .. أبدا .. » :

ثم تدخل الجماعة ومعهم مارجريت .. فتلتقط قناع

ديون .. وتبكي فيه حبيبها وزوجها .. وولدها .

أما القائد فيسأل سييل عن الميت فتقول : « انه

الانسان » .

فيحاول أن يكتب الكلمة في مفكرته .. لكنه يسألها :

وكيف تهجينه ؟ ! » .

ولا يريد أوئيل أن تنتهي مرحيته عند هذا الحد ..

بل هو يأبى الا أن يجعل لها خاتمة .. أو Epilogue كما كان

بعض الكتاب اليونانيين يصنعون .. فهو يأخذنا من جديد

الى افتتاحية مرحيته ، وبالأحرى الى هذا الملهى البحرى

الجميل الذى لقينا فيه آل برون وآل أتبونى ديون .. حينما كان المحبون لا يزالون فى ميعة الصبا وروثق الشباب .. انا ننتقل الى هناك لتكون مع مارجريت وسط أبنائها الثلاثة .. وقد مرت الآن سنوات أربع على حوادث الفصل الأخير .. وأصبح أكبر الأولاد فى الثامنة عشرة أو نحوها .. وهاهم من حول أمهم التى وخط المشيب رأسها .. وبدا الزمان فى وجهها وقوامها .. كالجند من حول القائد .. وهى تلاحظهم وتوصيهم ألا ينسوا أباهم أبدا .. وهم يعاهدونها على ذلك .. ثم هى تأذن لهم فى الانصراف ليكونوا داخل الملهى حيث يراقصون فتياتهم .. اذ لا يجب أن يقضوا أوقات فراغهم مع أم عجوز مثلها .. ويتركوا هذه الموسيقى الساجية لا تجد من يراقص فتاته على نعماتها .. ثم هى تقول لهم أن يدعوها وحدها مع هذا القمر الحبيب الذى تعاهدت وأباهم فى قمرائه على الزواج .. من زمان .. من زمان ..

ويطرب الأولاد للفكرة .. وينطلقون الى الملهى .. ثم تفرغ مارجريت الى نفسها لتشخص يبصرها الى حبيبها القمر وتقول :

مضى زمن طويل وبقيت أنا .. كما أنا .. مارجريت . ان حياتنا وحدها هى التى تكبر وتشيخ .. أما نحن .. فنبقى

حيث لا تكون القرون الا ثوانى .. وبعد ما نجيا ألف حياة
وحياة نفتح عيوننا لنحيا من جديد .. ان القمر يرقد مستريحا
في البحر .. وأحب أن أرى القمر يرقد آمنًا فيه .. كما أود
أن يترك ديون السماء وينزل الى .. هنا .. حيث أنا .
ثم تخرج قناع ديون من حضنها .. وتدنيه من ناظرها
وتقول :

حبيبي .. وزوجي .. وولدي .. انك لن تموت حتى يموت
قلبي .. وستحيا الى الأبد .. لأنك نائم في قلبي ..
ثم تطع شفيتها على شفتيه في قبة أبدية لا تنتهى !

وهذه اذن خلاصة تلك المسرحية التعبيرية الرمزية الحافلة
التي تمثل فن أونيل خير تمثيل .. والتي يفوض بنا فيها في
ظلمات العقل الباطن ومسارب اللاشعور البشرى في صراعه
العنيف مع الوعي الانساني .. وذلك كله بتساميه بالمذهب
الطبيعى وارتفاعه عن سطحه .. وعن تلك القشور التي كان
الكتاب الطبيعيون لا يتعدون بها السطح الرقيق يصورونه
تصويرا فتوغرافيا زائفا لا تعمق فيه ولا تغفل في أسرار
فحوسنا ..

أما الرموز التي تشتمل عليها المسرحية فيفسرها لنا أونيل
بقوله :

» .. لقد صنعت كما صنع شيكسبير وكثيرون غيره فجمعت
في شخصية ديون أتونى - أحد بطلى المسرحية - بين
شخصية پان Pan الأسطورية اليونانية الوثنية ، وشخصية
القديس أتونى St. Anthony المسيحية .. فديون هنا هو
هذه الصورة الوثنية الخلاقة المقبولة المعقولة للحياة ..
الشخصية التى تحارب معركة أبدية ضد هذه الروح المترهبة
المتزمتة المنكرة لذاتها ، والتى اشتهرت بها المسيحية .. والتى
يمثلها هنا هذا القديس أتونى .. (ففى شخصية ديون أتونى
يجتمع ديونيزوس اله الخمر والمرح والانطلاق اليونانى ..
ثم هذا القديس أتونى المترهب المسيحى) - والمعركة كلها
تسفر فى الوقت الحاضر عن هذا الضنى أو الاتهاك المتبادل -
أو السرور بالحياة سرورا مبدعا من أجل حياة باطلة مخيبة ..
حياة تفسدها العفة ، وتفقدتها ثمرتها .. وتمسخ صاحبها فتجعل
منه شيطانا بعد أن يكون پانا .. أو ديونيزوس .. تجعل منه
مفيتوفيلوس يهزأ بنفسه لكى يشعر بأنه حى .. والمسيحيون
الذين كانوا ذات يوم أبطالاً أيما أبطال لرسوخ الايمان فى
قلوبهم حتى لم يكونوا يفزعون من الاستشهاد فى سبيله ،
أصبحوا اليوم يطاجون فى ضعف فى سبيل الايمان الراسخ
بأى شىء .. حتى ولو بالربوبية نفسها (ونحن نجد فى المسرحية

أن سيبيل Cybele ربة الأرض الوثنية.. هي التي تقول مؤكدة وفي ثقة : « أبانا الذى .. » لبرون وهو يحتضر .. كما أنها هي التي تحاول الهام ديون أقتونى فكرة إيمانها بالحياة من أجل الحياة نفسها .

أما مارجريت — وهذا من كلام أونيل أيضا — فهي صورتى العصرية المباشرة المنحدرة من مارجريت فتاة فاوست — المرأة الفتاة الأبدية ذات البساطة الفاضلة الفطرية ، التي تغض الطرف بلباقة عن كل شيء ، إلا عن وسيلتها الى هدفها من المحافظة على السلالة .. والنوع .. أى فى سبيل بقائها .

أما سيبيل Cybele — تلك الفتاة البغى العاهر — فتجسيد لسبيل Cybele ربة الأرض التي قضى عليها بالنبد والعزلة فى عالم تسوده قوانين غير طبيعية .. إلا أنها تنعم برعاية الآلهة الذين قضوا عليها بهذا النبد .. والذين كانوا هم أنفسهم أول ضحايا قوانينهم وشرائعهم الجائرة

وأما براون فهو نصف الاله الأعمى البصيرة الذى يمثل أسطورتنا المادية الحديثة ، أو بالأحرى : النجاح المادى — الذى يبنى الحياة من أشياء خارجية .. وسطحية .. وهو خال ، بل خاو من الداخل .. ومجرد من الذخائر الروحية ..

انه مخلوق غير مبدع ولا بناء .. ذو أخايد وشقوق وثلم
اجتماعية سطحية سبق تقديرها في الأزل .. مخلوق ثانوى دفع
به تيار الرغبة في الحياة .. تيارها الأصلى العميق الجارف حتى
ألقي به جانبا في منحرجات الشاطئ الضحلة .

وقناع پان الذى يضعه ديون الصبى ليس دفاعا فقط ضد
العالم من أجل الشاعر المصور المفرط فى الاحساس الذى
يتوارى تحت هذا القناع .. لكنه جزء لا يتجزأ من شخصيته
بوصفه فناقا .. والعالم .. أو الناس من حول ديون — ليسوا
عميانا فحسب عن حقيقة الانسان الذى تحت هذا القناع ..
بل هم أيضا يستهزئون أيضا بقناع پان الذى يرونه ويدينونه!
وبعد هذا تنتكس نفس پان الداخلية وتراجع وتكص على
عقبها ازاء روح الاستسلام المسيحى حتى تأخذ بنصيب من
طبيعة هذا القديس أتونى .. بينما يتحول پان فى الوقت
نفسه ، ومن ظاهر شخصية ديون ، فيكون مفيتوفوليس ،
وذلك بسبب المعركة التى يخوضها ضد الحقيقة والأمر الواقع .
انه لا يقع عند قدمى براون حينما يقع الا وهو فى شخصية
مفيتوفوليس ، وذلك بعد أن حكم على براون بالدمار
بوصيته له بقناعه (قبل أن يموت) ، الا أننا نرى أن القديس
حينما يسقط القناع من فوق وجه ديون وهو وجود بروحه ،

هو الذى يقبل قدمى براون ، ويقبله فى ذلة وانكسار حقيرين ،
ويضرع كما يضرع طفل صغير الى أخيه الأكبر كى يصلى عليه
ويستغفر له .

لقد كان براون دائم الحسد لتلك القوة الحيوية الخلاقة
التي تتدفق فى كيان ديون .. تلك القوة التي يفتقدها هو ..
وهو عندما يسرق قناع مفيستوفوليس من ديون يحسب أنه
يكتسب تلك القوة السحرية التي يمكن أن يحيا بها حياة
خلاقة ، بينما هو فى الواقع لا يسرق الا تلك القوة المستلبة
التي تجعل صاحبها مخلوقا مدمر النفس خرب الروح بسبب
خبيته التامة وجبوطه الكامل .. وبسبب شيطان الشك الساخر
الذى يجعل حياته حياة خاوية يأتى عليها الذبول قبل أن تحقق
غايتها .. انه شيطان يتلبسه فيمزقه فيجعله جذاذا .. ولا يفتأ
يعذبه ويمسح روحه .. حتى ليضطره الى أن يلبس قناع
نجاحه — نجاحه المادى طبعا — يلقي به الناس .. فهو أمام
الناس بقناع وليم ا . براون ، كما هو بقناع ديون أمام الزوجة
وأمام الأطفال .. وهكذا لا يصبح بيلى براون ما هو فى حقيقة
أمره ودخيلة نفسه أمام أى أحد من الناس .. وهكذا هو
يقتسم آلام ديون — ولكنه يتعذب بها بصورة أنكى وأشد
صرامة .. لأن ديون كانت له الأم : سييل Cybele . وان

روح براون لتولد فى النهاية من صميم هذه الآلام .. فتكون
روحا مسيحية معذبة كروح ديون حينما كان ينازع سكرات
الموت .. روحا تلمس شيئا من الايمان حتى تجده آخر الأمر
على شفتى سييل Cybel .

ثم يختم أونيل شرحه لهذه الرموز بقوله : « لقد كان من
أبعد الأمور عن خاطرى وأنا أكتب هذه المسرحية أن هذه
الخلقية من التيارات المتصارعة فى نفس الانسان سوف تخيم
على المسرحية بأى حال من الأحوال .. وهكذا يختل توازن
الدراما الحية لهذه المخلوقات الانسانية المدركة التى لا خفاء
فيها : ديون وبراون ومارجريت وسييل . لقد كان قصدى
دائما أن تكون الدراما داخل هذه الشخصيات ومن ورائها
بصورة غامضة مبهمة .. بحيث تعطيها من الأهمية والمعانى
ما ليس لها ، وبحيث تقحم نفسها عليها فتعبر بلسانها بكلمات
ورموز وأفعال غامضة لا تفهمها هذه الشخصيات نفسها ..
وهذه هى دراما الأسرار Mystery .. دراما الأسرار التى
فى وسع أى رجل أو امرأة أن يشعر بها ويحسها وان لم يستطع
أن يفهمها بوصفها معنى أى واقعة أو حادث مفاجيء فى حياة
أى مخلوق يحيا على هذه الأرض — ودراما الأسرار هذه
هى التى أريد أن أحققها وأجلوها فوق خشبة المسرح .

أما الحل — اذا أمكن أن يكون ثمة حل — فينبغي على الأرجح أن نلتصه من خلال أنبوبة اختبار .. ثم يسفر عن كونه حلا غير درامى بصورة لا تشجع ! » .

وهكذا يحاول أونيل أن يكتب مسرحية أسرار حديثة فيغوص بنا فى هذا التيه الميتافيزيقى الشاسع .. لكنه يضرب فيه ليخرج بنتائج قد لا نوافق عليها .. وموافقتنا لا تهم أونيل لأنه فنان قبل أن يكون فليسوقا .. وعلامة فنه أنه يكاد يكرر لنا ما أحدثه فى مسرحيته هذه فى كثير من مسرحياته .. لكنه يعطينا كل مرة شيئا طريفا مشوقا لا نمله أبدا .. وان كنا نشعر فى بعض شخصياته بغموض لا يمكننا كشفه أو تفسيره .. كشخصيات هذه المسرحية التى لا يمكن أن تكون شخصيات واقعية من شخصيات هذه الحياة .. وعذر أونيل فى ذلك أنه يستخدم الرمز ويكره التصريح ويتعمق النفس ولا يطفو على سطحها .. وهل يكون الرمز الا غموضا مستملاحا .. وان لم يصح أن يكون ضربا فى تيه أو عماء ..

ان أونيل هنا لا يشغل نفسه بموضوع محلى أو مشكلة من مشكلات العصر الحديث .. انما هو ينصرف الى مشكلة انسانية أزلية .. مشكلة الصراع بين شخصية عبقرية قلقة وبين شخصية ناجحة هذا النجاح المادى الذى يحول صاحبه الى

صنم من الذهب ، وهو مع ذلك لا يستطيع أن يشتري بكنوزه
قليلا من المحبة أو الرضا .. ومن ثم لا ينفك يحسد هذا
العبرى الفقير الموهوب .. الذى تفتن به النساء وتقدر فيه
مواهبه الروحية التى لا تنفد .. وقد لا نغلو اذا قلنا ان ديون
هنا .. هو هو أونيل .. وهو هو سترندبرج .. وهو هو كل
أديب متمسك نأثر .. قلاق .. كافر بالبيئة التى يحيا فيها ..
بل بالدنيا التى ابتلى بها .. وبكل ما فى هذه الدنيا من مبادئ
ومثل وعقائد .. انه يحن الى الرجوع بالانسانية الى طبيعتها
الأولى الحنون الرؤوم .. لكنه لا يدري كيف يعود اليها وان
آمن بها .. وهل من السهل أن يتخلص الانسان من ميراث
العقيدة التى كتب عليه أن يأخذ بها زمنا طويلا .. ممثلة هذه
العقيدة فى هذا القديس أتونى .. والرجوع الى الوثنية
القديمة الأولى .. الوثنية الطليقة المثلة فى ديونيزوس
اليونانى .. هذا الاله الخمرى المرح الذى كان يعيش الحياة
من أجل الحياة ويستجيب لها فى جميع مظاهرها .. كما يستجيب
لها أخوه هذا الاله پان .. رب المروج الخضر ورب الغابات
الفيح .. ورب الزهر والشجر والثمر ! .. وهل دعا چان چاك
روسو الى شىء غير هذا !

من هنا كان هذا الانشطار فى جميع شخصيات تلك

المرحية .. بل الانشطار في شخصياتنا نحن .. وكانت هذه الألقعة التي نلبس منها لكل حالة لبوسها .. ومن هنا كان ذلك القلق الذي يعترينا جميعا ولا سيما في أزماتنا النفسية ، ولا سيما حينما نعجز عن تحقيق رغائبنا .. وبعد أن زعزعت المدنية الآلية الحديثة معتقداتنا الروحية القديمة ، وآخفق العلم المادى الحديث — كما يقول أونيل — في خلق ايمان حديث يشفى غريزتنا الدينية البدائية ويهديها الى تفسير مطمئن للحياة ..

* * *

وبعد .. فالى هنا نقف في حديثنا عن أونيل .. الى عام ١٩٢٥ من انتاجه المسرحى الضخم .. الخصب الشهى .. الذى لا تملئه النفس أبدا .. أما انتاجه بعد ذلك .. وهو الانتاج الذى لا يفوقه انتاج كاتب آخر معاصر لأونيل .. حتى انتاج أونيل نفسه الذى ألمعنا اليه .. فموعده ظهور ترجمة أخرى لاحدى روائعه التى كتبها بعد الاله الكبير براون .

دريشى خشبة

شخصيات المسرحية

وليم . ا . براون

ابوه ، مقاول

أمه

ديون أنتوني

ابوه ، بناء

أمه

مارجريت

ابناؤها الثلاثة

سييل

رسامان

في مكتب براون

سكرتير

obeikandi.com

المنظر

مقدمة : ملهى على رصيف الميناء في ليلة مقمرة في منتصف شهر يونيه .

الفصل الأول

المنظر الأول : غرفة الجلوس في شقة مارجريت أنتوني ، في عصر يوم من الأيام بعد مضي سبع سنوات .

المنظر الثاني : مكتب بيلي براون في عصر اليوم نفسه .

المنظر الثالث : ردهة بيت سيبل في ليلة ذلك اليوم .

الفصل الثاني

المنظر الأول : ردهة بيت سيبل بعد مضي سبع سنوات ، في أمسية يوم من الأيام .

المنظر الثاني : غرفة الرسم في مكتب وليم أ . براون ، في مساء ذلك اليوم

المنظر الثالث : مكتبة في بيت وليم أ . براون ، في ليلة ذلك اليوم .

الفصل الثالث

المنظر الأول : مكتب براون ، بعد مضي شهر ، في صباح يوم من الأيام .

المنظر الثاني : مكتبة بيت براون ، في مساء ذلك اليوم .

المنظر الثالث : غرفة الجلوس ، في بيت مارجريت ، في ليلة ذلك اليوم .

الفصل الرابع

المنظر الأول : مكتب براون ، بعد مضي اسابيع ، في عصر يوم
من الايام .

المنظر الثاني : بعد مضي ساعات ، في مكتبة بيت براون في
الليلة نفسها .

خاتمة : بعد مضي أربع سنوات ، في الملهى على رصيف
الميناء .

مقدمة المنظر

قطاع عرضي من ملهى على رصيف الميناء ، في مؤخرته المبنية وراء الحافة رحبة على هيئة مستطيل قائم الزوايا صفت الأرائك في زواياه الثلاث ، واحاط بالرصيف كله من الخلف سياج حديدي .

في ليلة مقمرة في منتصف شهر يونية ، ينبعث من الملهى ، صوت فرقة موسيقى مدرسية مؤلفة من أربعة طلاب يرددون أنشودة « أدلين الجميلة » ؛ تتمايل أصواتهم من فرط التهافت العاطفي الذي يثيره اللحن ، ويردد الصدى رجع التصفيق المتتابع ، ولا يسمع شيء بعد هذا سوى ارتطام الأمواج بأبنية الملهى وحفيفها عند الشاطئ ، ثم وقع أقدام على الممر الخشبي . يرى بيلي براون وهو يعبر من الجهة اليمنى مع أبيه وأمه : الأم قصيرة بدينة في الخامسة والأربعين من عمرها ، وقد افترطت في تزيين ملابسها بالدنتلا السوداء وقطع « الترتر » ، أما الأب ففي الخمسين من عمره أو أكثر ، وهو نموذج للرجل الكثير الحركة ، الحلو المعشر ، الناجح في حياته ، الموفق في عمله في الريف الذي يعيش فيه ، وقد بدا في حلة المساء قويا شامخا ، سليما معافا .

وبيلي براون صبي وسيم ، فارغ الطول ، رياضي البنية ، بلغ الثامنة عشرة من عمره تقريبا . شعره أشقر وعيناه زرقاوان ، وله ابتسامة مستحبة وعلى محياه تبدو الصراحة والبشر . وان محياه ليبدل لأول وهلة على قدرة صاحبه على

ضبط النفس ، كما يدل سلوكه على اعتداده بنفسه وعلى ذكائه
السوى ، يرى مرتديا حلة المساء .

ويمشى الثلاثة وقد أمسك أحدهم بذراع الآخر والآخر في
الوسط .

الأم : (مخاطبة الأب باستمرار) ما أسوأ تنظيم هذا

الحفل الراقص ، ما هذا الغناء .. وما هذه
الأصوات الهزيلة .. لم لا يفنى بيلي ؟

بيلي : (مخاطبا أمه) صوتي يشبه بوق الضباب الذي
ينعق برتابة وانتظام (يضحك) .

الأم : (الى الهواء) كان صوتي جميلا عندما كنت

فتاة ، (ثم تخاطب الأب بلهجة لاذعة) هل رأيت
أتونى الشاب وهو ينقل الخطا حول صالة
الرقص مرتديا سرواله القذر المصنوع من
الفانيليا .. ؟

الأب : كل ما هناك أنه يستعرض .

الأم : يا لها من وقاحة ! انه يشبه أباه في جهله .

الأب : لا غبار على أبيه ، كل ما آخذه عليه أنه محافظ

أكثر من اللازم ، وأنه لا يترك لى مجالاً للتوسع
فى عملى .

الأم : (برارة) من شدة الغيرة .. جعلك تبقى دون
مستواه .

الأب : ولكن لا تنسى أنه اتخذني شريكا له .

الأم : (محتدة) لأنك كنت العقل المفكر ! ولأنه كان
يخشى أن تضيع من يديه . (لحظة صمت) .

بيلى : (باعجاب) جاء ديون بملابسه القديمة لأنه
تراهن معى على هذا ، انه رياضى صميم ..
ولا يتورع عن الظهور «بيجامته» أمام الناس !
(يتسم ابتسامة تقدير) .

الأم : لم يعد ضوء القمر صافيا ! (تذهب وتجلس على
الأريكة الموضوعة فى الوسط ، ويقف بيلى فى
الزاوية اليسرى الى الأمام ويده على السياج
الحديدى كما لو كان سجيناً يواجه القاضى فى
قصر الاتهام—بينما يقف أبوه أمام الأريكة الى
اليمين وتعود الأم فتكلم بلهجة قاطعة) بعد أن
يتم بيلى تعليمه فى المدرسة لابد له أن يدرس
لينقن مهنة من المهن .. لقد عقدت العزم على
هذا ! (تلتفت الى زوجها متحدية ، كأنها تتوقع
منه المعارضة) .

الأب

: (متحمسا ومهدئا من ثورتها) وهذا بالضبط ما كنت أفكر فيه يا عزيزتي ، فن العمارة ! ما رأيك فيه ؟ وفي أن يكون يبلى معماريا من الطراز الأول ! هذا هو اقتراحي ! وهو ما كنت أتمناه لنفسي باستمرار ! ولكن الفرصة لم تتح لي أبدا . أما يبلى ... فسنجمله مساهما في الشركة فيما بعد ، وسنطلق عليها اسم شركة « أتتوني براون وولده .. المعمارين والبناءين » ، بدلا من المقاولين والبناءين ! .

الأم

: (وهي تتوق الى تحقيق حلمها) ولن نعود أبدا الى رصف طريق المشاة أو الى حفر مصارف المياه ؟ : (ممتعضا بعض الشيء) نستطيع أنا وأتتوني أن نبنى أى شيء يرسمه ابنك المدلل ... حتى ولو كان كاتدرائية (ثم ، عارضا فكرته) ستتاح له فرصة عظيمة ! سيصمم المشروعات ، ويوسع من نطاق عملنا ، ويجعل الشركة مشهورة .

الأم

: (مرسلة كلامها في الهواء — وتأمل) عندما عرضت على الزواج ، كنت أظن أن مستقبلك يشير بالنجاح .. ومستقبلي .. (بتهدية) .. على

كل حال أظن أن حياتنا كانت على وفاق ،
والمستقبل الآن هو مستقبل بيلى، فما رأيه فى أن
يكون معماريا .. ؟ (بدون أن تنظر اليه) .

بيلى : (مخاطبا أمه) وهو كذلك يا أمى . (ثم بحياء)
أظن أنتى لم أهتم كثيرا بالتفكير فيما أود أن
أعمله بعد تخرجى من المدرسة ، ولكننى أرى أن
العمارة تصادف هوى فى نفسى .

الام : (مرسله كلامها فى الهواء — وبكبرياء تقول)
اعتاد بيلى أن يرسم بيوتا عندما كان صغيرا .

الاب : (متهللا) بيلى يملك كل مقومات النجاح
ولا ينقصه الا الجهد فى عمله .

بيلى : (بلهجة المطيع) سأعمل بجدي يا أبتاه .

الام : فى استطاعة بيلى أن يعمل أى شئ !

بيلى : (بارتباك) سأحاول يا أمى (تسود فترة
صمت) .

الام : (برعشة مفاجئة) الليالى الآن أبرد بكثير مما
كانت عليه من ذى قبل .. فمثلا تصور أنتى
ذهبت مرة أستحم فى ضوء القمر فى شهر يونية

عندما كنت فتاة ، وكم كان ضوء القمر دافئاً
جميلاً في تلك الأيام ، ألا تذكر أيها الأب ؟

: (يطوقها بذراعه في حنان) لا شك أنتى أذكر
أيتها الأم . (يقبلها .. ثم يعزف أوركسترا الملهى
لحنا من ألحان الثالاس) ها هى الموسيقى تعزف ،
فهيأ بنا نعود ونرقب الشبان وهم يرقصون
(يذهبان تاركين بيلى واقفا وحده هناك) .

: (تلتفت اليه فجأة) أريد أن أشاهد بيلى وهو
يرقص .

: (بلهجة المطيع) لييك يا أمى ! (يتبعهما ويسمع
صوت الموسيقى الخافت وضربات الأمواج برهة
من الوقت ، ثم يسمع وقع أقدام للمرة الثانية
ويدخل آل أتونى الثلاثة . يدخل الأب والأم
أولا بغير قناع : الأب طويل نحيف فى الخامسة
والخمسين أو الستين من عمره ، يوحى وجهه
بالتجهم وتعود الدفاع عن النفس والتشبث
بالرأى الى حد الغباء ؛ والأم هزيلة نحيلة متهافة ،
تبدو على الدوام عصبية المزاج مرتبكة التصرفات ،
ومع هذا فلها وجه حلو ولطيف يدل على أنه كان

الأب

الأم

بيلى

جميلا في يوم من الأيام . يرتدى الأب حلة سوداء واسعة وكأته في ثوب الحداد ، أما الأم فترتدي ثوبا أسود بسيط النوع رخيص الثمن ، ويتبعهما ابنتهما ديون ماشيا وحده كما لو كان غريبا عنهما .. وهو في مثل طول براون ولكنه أميل الى النحافة والنحول ، ولا يعرف للهدوء طعما ، ويبدو دائما في حركة عصبية متوترة ، ووجهه مغطى بقناع علتة الحدة والصرامة ، وقد بدا غائما متجهما مشوبا بالروحانية والشاعرية ، وعاطفيا مرهف الحساسية ، وقد جمع الى براءة الطفولة الايمان الدينى بالحياة ، وأضحى بفعل القناع ذا وجه ساخر متهور يميل الى استفزاز الناس ويضطرب للسخرية بهم كما بدا فضلا عن هذا كله أشبه ما يكون باله الخمر « بان » الذى ينغمس فى الشهوة الحسية . يرى مرتديا قميصا من « الفانيلا » ومادى اللون مفتوح الياقة ، وحذاء من القماش ، وسروالا متسخا من الفانيلا البيضاء . يتجه الأب نحو الأريكة التى تقع فى الوسط ويجلس عليها تاركا الأم التى كانت

ممسكة بذراعه ، تنجه الى اليمين من الأريكة .
يحدق كلاهما في ديون الذى تعمد أن يظهر
بمظهر الشخص الذى لا يبالى كثيرا . والذى
يأخذ مكانه عند السياج الحديدى حيث وقف
براون الشاب ، يرمقانه بعيون قلقة حائرة .

الأم : (فجأة — وبلهجة متوسلة) يجب عليك أن
ترسله الى الكلية !

الأب : هذا ما لا أريده ، فأنا لا أومن بالكلية والكليات
تخرج الكسالى المتسكعين الذين يعيشون عائلة
على آباءهم الفقراء ! دعيه يشقى كما شقيت !
فهذا الشقاء هو الذى سيجعله يعرف قيمة
القرش ! الكلية لن تجعل منه الا طائشا أكثر مما
هو الآن ! أنا لم أجتز مرحلة التعليم الابتدائى ،
ومع هذا جمعت المال ، وأسست شركة ذائعة
الصيت ، دعيه يخلق من نفسه رجلا كما خلقت
أنا من نفسى رجلا .

ديون : (مرسلا كلامه فى الهواء — وبسخريه) هذا
المستر أتونى هو أبى ، ولكنه يتصور نفسه
دائما الاله الأب . (كلاهما يحدقان فيه) .

والا ألقيت بك في الوحل ولا شيء معك من
النقود .. أسمع ؟

ديون : (مرسلا كلامه في الهواء — وباستهزاء يقول)
من الصعب على الانسان أن يختار .. ولكن يظهر
أن العمارة أريح من غيرها .

الأم : (بولنه) لا بد أن تكون معماريا رائعا يا ديون ،
وكثيرا ما أبدعت في رسم الصور ..

ديون : (يرمقها بنظرة .. وباستياء يقول) هل لا بد أن

تكذب ؟ وهل هي غلطتى ؟ انها تعلم أنها لم تكن
أكثر من محاولة للرسم (بحماس) ولكننى
سأكون رساما ذات يوم ! (وسرعان ما يعود
الى السخرية) الى الكلية ! حسنا ، فالكلية على
أية حال لن تكون كالبيت ، أليس كذلك ؟
(يضحك ضحكة مريرة قاسية ويقترّب منهما ،
ينهض أبوه واقفا فينحنى ديون) أشكر المستر
أتونى لأنه أتاح لى هذه الفرصة الرائعة لى
أخلق نفسى .. (يقبل أمه التى تنحنى بخضوع
غريب كما لو كانت خادما أهانها سيدها الشاب ..
ثم يستطرد بهوادة) سأخلق نفسى بالصورة التى

الاب : (بارتباك و غضب) ماذا — ماذا — ماذا قال ؟
الام : (معارضة ابنها برقة) ديون . يا عزيزي ! (ثم الى زوجها بتوبيخ) براون ينسب الفضل كله لنفسه !
ويقول لكل من يلقاه ان النجاح الذي حققه يرجع الى قدرته وحدها ، وأنتك لست أكثر من عصا قديمة ملقاة في الوحل !

الاب : (مأخوذاً وبحنق) يا له من أحقق ملعون ! انه خير من يعلم أننى لو لم أعده الى صوابه لأدى بأفكاره المجنونة الطائشة الى خرابنا من زمن طويل !

الام : سيرسل يبلى الى الكلية .. هذا ما قالت مسز براون لى الآن .. انه يعده لدراسة فن العمارة حتى يمكنه فيما بعد أن يساعد فى توسيع شركتك !

الاب : (بغضب) ما هذا الكلام ؟ (يلتفت الى ديون فجأة ، ويقول بعنف) اذن عليك أنت الآخر أن تفكر فى الذهاب الى الكلية ، وأن تتعلم لتكون أحسن من ابن براون فى فن العمارة ، هذا

تخيلتها أمي لعلها تحس أن حياتها ختمت على النحو الذي تحبه وترضاه . (يجلس في مكان أبيه في الوسط ، وقناعه شاخص الى الأمام في سخرية جامدة ، الأب والأم يقفان الى جانبه كل في ناحية وينظران اليه في صمت) .

الأم : (بعد حين وهي ترتجف) الجو بارد . ولم يسبق أن كان شهر يونية باردا على هذه الصورة ، انى أتذكر يا ديون شهر يونية عندما كنت حاملا بك.. قبل أن تولد بثلاثة أشهر (تحديق في السماء) كان ضوء القمر دافئا في ذلك الحين ، وكنت أشعر أن الليل يلفني كأنه غطاء رمادي اللون من القטיפه ، بطنته السماء الدافئة ، ووشته بأوراق فضية اللون ! ..

الأب : (يصيح بشراسة .. ولكن بنوع من المهابة) كانت أمي تعتقد أن الزرع يؤون أوانه عندما يكون القمر بدرا ، وكانت فظيعة في تعصبها لكل ما هو قديم (وبصوت أقرب الى صوت الخنزير) أشعر أن هذا يثير على مرض الروماتيزم ، هيا بنا الى الداخل .

ديون : (بمرارة شديدة) لتختفيا عن الأنظار ! ولتسعرا
 بالعار ! (كلاهما يفزع منه ويحقد فيه) .

الأب : (بيأس مرير وهو يخاطب زوجته .. مشيرا الى
 ابنهما) من يكون هذا الابن ؟ أنت التى ولدته !

الأم : (بزهو وخيلاء) انه ولدى ! انه ديون !

ديون : (باستياء مرير) وماذا أكون غير ذلك فى الواقع !
 ألسنت ابنكما بعينه ! (ثم بسخرية) هل المستر
 أتتوني وحرمه ذاهبان الى الرقص ؟ الليالى بدأت
 تبرد ! والأيام أصبحت أشد عتمة عما كانت عليه
 من قبل ! هيا بنا نلعب لعبة « عسكر وحرامية » !
 ونبحث عن القرد الذى فى القمر ! (ويقفز فجأة
 قفزة مضحكة كأنه أحد المهرجين ، وينطلق مسرعا
 وهو يضحك بطريقة مستهجنة ، يحدقان فيه
 وهو يولى عنهما الأدبار ، ثم يتبعانه بهدوء
 وببطء . ومرة أخرى يسود الصمت الذى لا تقطعه
 الا طرقات الأمواج ، ثم تدخل مارجريت يتبعها
 عاشقها الولهان بيلى براون . أما هى فقد بلغت
 حوالى السابعة عشرة من عمرها ، شقراء مليحة
 ملأى بالحياة ، عيناها حالمتان واسعتان ، وقوامها

قوى لدن ، وتم تعابير وجهها عن ذكاء ولكنه ذكاء شباب حالم ، ولا سيما في ضوء هذا القمر . ترى عند دخولها مرتدية ثوبا بسيطا أبيض ، واضعة على وجهها قناعا يشف عما وراءه وينقل ملامح وجهها نقلا يكاد يكون تاما ، ولكنه مع هذا يضى عليها الصفات المجردة التي تكون لأية فتاة بدلا من تلك الصفات التي تنفرد بها (مارجريت) .

مارجريت : (تنظر الى القمر ، وتغنى بصوت خفيض أثناء دخولها مع بيلي براون) « آه ، يا قمر سرورى الذى لا يعرف المحاق » .

بيلي : (بتلهف) حصلت على تسجيل لهذه الأغنية — انها لچون ماكورماك ، كم هى رائعة ! استمرى فى الغناء . (تنظر الى أعلى فى صمت ، ويظل هو واقفا خلفها فى احترام ، ينظر بارتباك الى وجهها المعرض عنه ثم يحاول أن يجاذبها أطراف الحديث) أظن أن « الرباعيات » شىء عظيم ، ألا ترين هذا؟ أنا لم أستطع أن أحفظ شعرا ذا قيمة على الاطلاق ، بينما ديون يستطيع أن يسمع قصائد من شعر شيلي عن ظهر قلب .

مارجریت : (تزيح قناعها عن وجهها ببطء .. وتناجى القمر)
ديون ! (لحظة صمت) .

بيلى : (قلقا) مارجریت !

مارجریت : (وهى تناجى القمر) ما أروعك يا ديون !

بيلى : (بغباوة) طلبت اليك أن تأتى الى هنا لأننى أردت
أن أحدثك فى شيء .

مارجریت : (وهى تتحدث الى القمر) لم نظر ديون الى
هكذا ؟ كم أشعرتنى نظرتة بالهيام !

بيلى : وأنا أيضا أردت أن أسألك عن شيء ما .

مارجریت : لا يمكننى أن أنسى تلك المرة التى قبلنى فيها !
لم يكن يقصد الا المزاح .. ولكنى شعرت ..
ورأى ما شعرت به فلم يستجب له بأكثر من
الضحك !

بيلى : لأن صلته بك لم تكن وطيدة أما الغاية من صلتى
فهى الشىء المؤكد .. وهكذا كانت منذ زمن
طويل حتى أظن أنها معروفة لدى كل من فى
المدينة .. فانهم كثيرا ما يتقولون علىّ .. وعلى
ذلك فلا بد أن تعرفى هذه الصلة .. وتعرفى
ما أشعر به نحوك .

مارجريت : كم يختلف ديون عن جميع الآخرين ، في امكانه
أن يرسم رسما جميلا ، وأن ينظم الشعر ويعزف
الموسيقى ويعنى ويرقص ، كل هذا يفعله بصورة
مدهشة ، مدهشة الى أقصى حد ، ومع هذا فهو
حزين خجول ، تراه كالطفل تماما في بعض
الأحيان ، وهو يعرف دخيلة نفسي حق المعرفة ..
و .. وكم يحلو لي أن أمرر أصابعي خلال شعره ..
انتي أحبه ! نعم ، أحبه ! (تمد ذراعيها الى القمر)
آه ، يا ديون ، انتي أحبك !

بيلى : أنا أحبك يا مارجريت .

مارجريت : يا ترى هل ديون .. انى رأيته ينظر الى ثانية في
هذه الليلة .. يا ترى هل .. ؟

بيلى : (يأخذ بيدها وينفجر) ألا تستطيعين أن تحييني؟
ألا تريدين أن تتزوجيني .. بعد تخرجى من
الكلية ..

مارجريت : يا ترى أين ديون الآن ؟

بيلى : (يهز يدها وهو في عذاب من الشك) مارجريت،
أرجو أن تحييني !

مارجريت : (يتبدد حلمها فتلبس قناعها وتلقت اليه .. وكأنها

تعود الى عالم الواقع (الجو يأخذ في البرودة ،
فهي بنا يا بيلى نعود ونرقص .

بيلى : (بيأس) اننى أحبك ! (يحاول تقبيلها بشئ من
الرعوثة) .

مارجريت : (بضحكة لاهية) محبة أخ ! ويمكنك أن تقبلنى
إذا شئت (تقبله) قبله الأخ الأكبر ، وهى
لا تحسب . (يتراجع مخذولا مطرق الرأس ،
تفلت منه وتخلع قناعها .. وتناجى القمر) كم أود
لو قبلنى ديون مرة ثانية !

بيلى : (فى ألم) عييط أنا ومسكين ، كان ينبغى على
أن أعرف ذلك ، وأراهن أننى أعرف ، أعرف ،
ألك وقعت فى حب ديون ، ورأيتك تنظرين اليه ،
أليس الأمر كذلك ؟

مارجريت : ديون ! كم أحب سماع هذا الاسم !

بيلى : (بغلظة) لا بأس .. فهو دائما أبدا أفضل
أصدقائى .. وأنا مسرور أن يكون هو .. وأرى
أننى سأعرف كيف أستفيد من هذه الخسارة ..
(يأخذ يدها ويصافحها) والآن أرجو لك كل
ما فى العالم من نجاح وسعادة ، وتذكرى

يا مارجریت أننى سأظل لك باستمرار خير
صديق ! (يضافها المصافحة الأخيرة .. ويمد
يده بصعوبة .. ثم يتحدث بجد ورجولة) هيا
بنأ نعود الى الداخل !

مارجریت : (الى القمر .. وبشئ من الكلال والاعياء) ترى
ماذا يفعل بيلى براون هنا ؟ سأنزل وأتتظره عند
حافة الرصيف . أنا البحر وديون القمر . فماذا
لو عائق القمر البحر وقبله ؟ كم أود لو ترك ديون
السماء ونزل الى ، وكم أود لو انجرف موج
دمى نحوه فبارح قلبى واتبع هواه ! (ثم تهمس
كأنها فتاة صغيرة) ديون ! مارجریت ! ييجى !
يجى حبيبة ديون .. ييجى الصغيرة .. حبيبة
ديون .. (تغنى ضاحكة ، وبانبهار) ديون يا أبى ،
أوه ! (تشئ تجاه حافة الرصيف ، ناحية
اليسار) .

بيلى : (ينصرف مسرعا) أنا ذاهب ، سأقول لديون
انك هنا .

مارجریت : (تزداد ثقة وقوة حتى تصبح فى آخر الأمر وكأنها
أم وزوجة) وسأكون مسز ديون .. زوجة ديون ..

وسيكون ديون لى .. لى أنا وحدى .. ولدى
الصغير .. طفلى ! سيفرق القمر فى أمواج قلبى ،
ويغوص آمنًا فى أعماق البحر ! (تختفى من
الجهة اليسرى ، وتنظر الى أعلى بوجه غير مقنع
وكأنه وجه حاله أخذته نشوة الرؤيا . ومرة أخرى
يسود الصمت الذى تسمع خلاله أصوات الرقص
والموسيقى ، ثم ينقطع الصوت ويدخل ديون
ويمشى مسرعا نحو الأريكة التى تقع فى الوسط ،
ويلقى بنفسه فوقها مخفيا وجهه المقنع بكلتا
يديه ، وبعد برهة يرفع رأسه وينظر حواليه
مسترقا السمع ، ثم يخلع قناعه بهوادة فيبدو
وجهه الحقيقى فى ضوء القمر الساطع مكتنبا
خجولا رقيقا تغشاه سحابة الحزن العميق) .

ديون : (بحيرة ومعاناة) لماذا أخاف من الرقص ، أنا
الذى أحب الموسيقى والايقاع والجمال والغناء
والضحك ؟ لماذا أخاف من الحياة ، أنا الذى أحب
الحياة وجمال الجسد والألوان الحية فى الأرض
والسما والبحر ؟ لماذا أخاف من الحب ، أنا الذى
أحب الحب ؟ لماذا أخاف ، وأنا الذى لا يخاف ؟

لماذا أظهار باحتقار الناس لكى أشفق على الناس؟
لماذا أتوارى فى احتقار نفسى من أجل أن أفهم؟
ولماذا أخجل من قوتى كل هذا الخجل ، وأزهو
بضعفى كل هذا الزهو؟ لماذا أعيش فى ققص كما
لو كنت مجرما أكره الناس وأتجاهم ، وأنا الذى
أحب الصداقة والسلام؟ (يشبك كتفا يديه
ويرفعهما الى أعلى فى نوع من الضراعة والابتهاال)
لماذا خلقتنى بلا جلد يا الهى فكان على أن
أرتدى درعا لكى لا ألمس أحدا ولا يلمسنى أحد؟
(لحظة صمت يقضيها فى سكوت وانتظار ، ثم
فجأة يضع قناعه على وجهه مرة أخرى فى حركة
تم عن اليأس كما تتم نبرات صوته عن المرارة
والازدراء) أو بالأحرى أيها الاله الأزلى ، لماذا
خلقتنى على الاطلاق .. لماذا بحق الشيطان؟
(يسمع وقع أقدام من جهة اليمين فيتجمد ديون
فى مكانه ويظل قناعه شاخصا الى الامام . يدخل
يلى من اليمين متثاقلا وعليه أمارات القلق ،
وعندما يرى ديون يتوقف فجأة ويحدق فيه
بضجر واستياء .. ولكن شخصية الانسان الطيب

المغلوب على أمره سرعان ما تتغلب على هذه
الحال) .

بيلى : (بحيرة وارتيك) أهلا ، ديون ، كنت أبحث
عنك فى كل مكان . (يجلس على الأريكة جهة
اليمين ، مصطنعا لهجة المزاح) لماذا أنت جالس
هنا أيها المعتوه .. أتحاول أيها المجنون أن تزداد
جنونا على جنون ؟ (لحظة صمت .. ثم بحماقة)
تركت لتوى مارجرت ..

ديون : (يجفل .. وسرعان ما يدافع عن نفسه بلهجة
ساخرة) الرب يبارككم يا أولادى !

بيلى : (بغلظة وفضافة) أنا بعيد عنها كل البعد .. وهى
التي دلتنى على الطريق . أنت حبيبها الحقيقى ،
فعد الى الداخل لكى تحظى بها ! ونحن كما كنا
منذ الطفولة صديقان حيمان ، ألم نكن كذلك؟ ..
و .. وأنا مسرور يا ديون أن يكون هذا هو أنت
(يقول ذلك بصوت أجش .. ويتلمس يد ديون
مصافحا اياها) .

ديون : (تاركا يده تسقط .. ثم بمرارة) صديقان ؟ أوه ،
كلا ، فيا طالما ازدرانى بيلى براون !

بيلى : انها فى انتظارك الآن ، تحت عند حافة الرصيف .
ديون : فى انتظارى أنا ؟ من هى ؟ وأى فتاة ؟ أوه ،
كلا ان الفتيات لا يسمحن لأنفسهن بالنظر
الا لما يستحق النظر !

بيلى : انها غارقة فى حبك .
ديون : (يهتاج ، وبعد فترة صمت يتمتم قائلا) هل
وقعت معجزة ؟ انى خائف ! (يعنى بهزل ومزاح)
أنا أحب ، أنت تحب ، هو يحب ، هى تحب !
هى تحب ، هى تحب .. ماذا ؟

بيلى : أنا أعلم كل العلم أنك تسعى اليها من وراء ستار
السذاجة والبلاهة .

ديون : (فى ثورة) من وراء ستار ؟ أنا أحب الحب !
وأحب أن أحب ! ولكننى خائف ! (ثم يتهجم)
كنت أخاف ! والآن لا أخاف ! الآن أستطيع أن
أحب .. أى واحدة ! نعم ، أنا أحب بيلى ! ولم
لا ؟ من تكون هى ؟ ومن أكون أنا ؟ نحن نحب ،
وأنت تحب . وهم يحبون ، وكل انسان يحب ..
وما من انسان لا يحب ! العالم كله له حبيب يحبه ،
الله يحبنا جميعا ونحن نحبه ! والحب كلمة ..

شبح كلمة ، رث الثياب مكشوف الوجوه
يستجدي الحياة على كل باب مهما كلفه ذلك
من ثمن !

بيلى : (يبدو دائما وكأنه لم يسمع شيئا مما قاله
الآخر) أقول دعنا ، أنا وأنت ، نسكن معا فى
الكلية ، فى غرفة واحدة ..

ديون : بيلى يريد أن يبقى الى جانبها !

بيلى : واذن فهذا شرط ! (ثم يفتصب ابتسامه) يمكنك
أن تخبرها بأننى سأراقب سلوكك ! (يتحول
عنه مبتعدا) الى اللقاء ، وتذكر أنها تنتظر .
(ينصرف) .

ديون : (يناجى نفسه فى حيرة وارتباك) تنتظر .. تنتظرنى

أنا ! (يزيح قناعه بيظه فيبدو وجهه وقد تبدلت
أساريره وعلاه السرور ، يحدق سابحا فى ملكوت
السماء) أيها الاله الذى فى القمر ، ترى هل
سمعت ؟ انها تجبنى ! وأنا لست خائفا ! انى
قوى ! وأستطيع أن أحب ! وهى تحمينى !
وذراعاها تطوقانى برفق ولين ! وسأشعر بالدفء
وهى الى جوارى ! انها جلدى ! انها درعى ! لقد

ولدت الآن .. أنا .. الذى هو أنا ! .. الواحد
 الذى لا يتجزأ .. أنا الذى أحب مارجريت !
 (يحدق فى قناعه تحديق الناظر المنتصر .. ويخاطبه
 بنبرات تنم عن التحرر والخلاص) لقد كبرت
 أكثر من اللازم ! وأنا قد تجاوزت الغرض المطلوب
 منك ! (يمد ذراعيه الى السماء) أيها الاله ،
 آمنت بك الآن ! (يسمع صوتها آتيا من عند
 حافة الرصيف) .

مارجريت : ديون !

ديون : (ساهما) مارجريت !

مارجريت : (مقتربة) ديون !

ديون : مارجريت !

مارجريت : ديون ! (تدخل مسرعة وقناعها فى يديها ، يقفز

نحوها بذراعيه مفتوحتين فتراجع منكشمة وهى

تصدر صيحة خائفة وسرعان ما تلبس قناعها ،

يتراجع ديون فتخاطبه بغضب وفتور) من أنت ؟

ولماذا تناديني ؟ أنا لا أعرفك !

ديون : (وهو كسير القلب) انى أحبك !

مارجريت : (بتجمد) هل هذه دعابة .. أم أنت سكران ؟

ديون : (بهمة حاسمة ضارعة) مارجريت ! (تكتفى بأن تحدى فيه باحتقار ، ثم بحركة مفاجئة يتزعقنا من على وجهه ويضحك بوحشية ومرارة)
ها .. ها .. ها ! غلبت هذه المرة يا بيجى !

مارجريت : (تنزع قناعها ، وبفرح) ديون ! كيف فعلت هذا .. ولماذا ، فأنا لم أتعرف عليك !

ديون : (يطوقها بذراعه فى جسارة) كيف ؟ انه القمر .. القمر المجنون .. القرد الذى فى القمر .. يمثل علينا الألعاب ! (يقبلها بوجهه المقنع مرة تلو مرة بعاطفة مشبوبة كما لو كان ممثلاً) أنت تحببى ! وتعرفين أنك تحببى ! فقولها ! وخبرنى ! فأنا أريد أن أسمع ! وأريد أن أشعر ! أريد أن أعرف ! وأريد أن أريد ! أن أريدك كما تريدنى !

مارجريت : (فى نشوة) أوه ، ديون ، أنا أحبك ! أحبك !

ديون : (باستعلاء تهكمى .. ولهجة خطافية) وأنا أحبك ! أوه ، أحبك بجنون ! أوه ، أحبك دائماً والى الأبد ، آمين ! أنت نجم سمانى وطالع سعدى ! عيناك بحيرتان زرقاوان تنساب فيهما أحلامى النهمية ، وجسدك شجرة حور يضاء نضرة

تتلوى تحت شفتى الربيع . هكذا ! (يلويها الى
الوراء ويسندها بذراعيه ويميل بوجهه على
وجهها) هكذا ! (يقبلها) .

مارجريت : (باسترخاء عاطفى مفرد) أوه ، ديون ! ديون !
أحبك !

ديون : (بنبرة استعلاء متزايدة) أنا أحب ، أنت تحب ،

نحن نحب ! تعالى ! استريحى ! استرخى ! دعى
قبضتك تطلق للدنيا العنان ! دعى نورها يخبو
ويخبو حتى يتلاشى فيما وراء الماضى ! فى العدم!
فى الموت ! والآن ! لتولدى من جديد ! لتنهضى !
وتحبنى ! وتدوبى فى الندى .. فى الصمت .. فى
الليل .. فى الأرض .. فى المكان .. فى السلام ..
فى المعنى .. فى الفرح .. فى الاله .. فى الاله
الكبير بان ! (وبينما هو آخذ فى كلامه ، يحتجب
القمر شيئاً فشيئاً وراء سحابة سوداء حتى يختفى
نوره ، وتسود لحظة من الظلام الدامس والصمت
العميق ، ثم يبرز نور القمر ثانية وبالتدرج ،
ويسمع صوت ديون هامسا فى أول الأمر ، ثم
متزايدا فى ارتفاعه كلما زاد نور القمر) انهضى !

آن الأوان لتنهضى ! آن الأوان لتوجدى ! آن
الأوان لتذهبى الى المدرسة ! آن الأوان لتعلمى !
تعلمى لتتظاهرى ! لتسترى عريك ! تعلمى
لتكذبنى ! تعلمى لتفعلى كما يفعل الآخرون !
الحقى بالركب ! ان بان الأكبر قد مات !
استشعرى الخجل !

مارجريت : (بنشيج) أوه ، ديون ، انى أشعر بالخجل !

ديون : (باستهزاء) هس ! أنظرى الى القرد الذى فى

القمر ! انظرى اليه وهو يرقص ! ان ذنبه قطعة

من خيط كان قد ترك عندما انفصل عن يهواه

وفر هاربا ليلتحق بسيرك تشارلس دارون !

مارجريت : أعرف أنك تكرهنى الآن ! (تلقى بذراعيها حوله

وتدفن رأسها فى كتفه) .

ديون : (بتأثر عميق) لا تبكى ! لا .. ! (يمزق قناعه

فجأة وفى عذاب الانفعال) أكرهك ؟ أنا أحبك

بكل روحى ! أحيينى ! لماذا لا تستطيعين أن

تحيينى يا مارجريت ؟

(يحاول أن يقبلها ولكنها تقفز واقفة على

قدميها مصدرة صرخة مذعورة وواضحة

قناعها أمام وجهها محتمية به) .

- مارجريت** : لا ! أرجوك ! أنا لا أعرفك ! أنت تخيفني !
- ديون** : (يلبس قناعه مرة أخرى ويقول بهدوء ومرارة) كل شيء على ما يرام ، ولن أدعك تنظرين الى هذا مرة أخرى . (يلفها بذراعه ويقول بسخرية رقيقة) كنت أحبك هناك نيابة عنه ! فلا تبكى ! ولا تخافى ! ديون أتتوني سيتزوجك يوما ما . (يقبلها) « رضيت بهذه المرأة ... » (بدعابة رقيقة) أهلا بك أيتها المرأة ! هل تشعرين بالكبر على مر السنين ! مسز ديون أتتوني ، هل ستعود الى الداخل ، وهل لى فى الرقصة الثانية ؟
- مارجريت** : (برقة) أيها الولد المجنون ! (ثم تضحك فرحة) مسز ديون أتتوني ! ما أروع وقعها على الأسماع ، أليس كذلك ؟ (يخرجان بينما ...
- يسدل الستار)

الفصل الأول

المنظر الأول

المنظر ، بعد سبع سنوات :

فى غرفة جلوس مسز ديون أنتونى ، وهى غرفة تقع فى نصف بيت من تلك البيوت التى تسكنها عائلتان ٠٠ والتى تقع فى ناحية البيوت من المدينة . . انه بيت من بيوت الأحياء ذات التصميم الواحد الذى يؤذى العين بقبحه الشديد . وقطع الاثاث الأربع التى ترى فيه هى من ذلك الطراز الذى يلائم تلك البيوت . . كرسى بمسندين فى ناحية اليسار ، ومتضددة خلفها كرسى فى الوسط ، واريكة فى الجهة اليمنى . وكانما تأثر غرفة المحكمة الذى صنعت الأرائك على غراره فى الفصل الأول هو الذى حمل الى هنا . وخلفية المنظر عبارة عن ستار خلفى ، طليت حائط المؤخرة فيه بالأصباغ المطبوعة سبكا فضلا عن التفاصيل الواقعية التى لا تطاق ولا اثر فيها للحياة ، والتى تزين عادة غرف الجلوس فى أمثال هذه البيوت . الوقت فى ساعة متأخرة من عصر يوم معتم من أيام الشتاء .

برى ديون جالسا خلف المنضدة محدقا فيما امامه ، والقناع معلق على صدره تحت رقبتة معطيا تأثير كلا الوجهين : وجهه الحقيقى وقد تقدم به العمر الى حد كبير وبلدت عليه أمارات الألم والاجهاد ولكنه فى الوقت نفسه وعلى نحو غير مالوف يشف من انسان زاهد غير أنانى ، عقد العزم واتخذ القرار ان يعتزل

الناس وينسجج من الحياة . والقناع هو الآخر قد تغير فبدأ
أكبر سنا وأكثر تهكما واستفزازا ، كما بدأ الاحتقار في نظراته
أكثر حدة ومرارة . وقد تغيرت فيه صفة الإله بان واتخذ صورة
الشیطان مفستوفولیس ، فأخذ يعيش ، فى الأرض فسادا مظهرا
ما شاء من ضروب الاتلاف والتدمير .

ديون : (يمد يده فجأة ويتناول نسخة « العهد الجديد »)

الموضوعة أمامه على المنضدة ، يضع اصبعه كيفما
اتفق فيفتحه ، ويأخذ فى تلاوة الآية بصوت
مرتفع (« الى جميعا .. أيها المثلثون بأعبائكم
وسأهبكم الراحة والخلود ») يخلق فيما أمامه
فى شبه زهول وقد تألق وجهه بنور منبعث من
أعماقه وان عاد فاكنسى بالحيرة الموجعة .. يهمس
بصوت مبهم غير واضح (لسوف آتى اليك ..
ولكن أين أنت أيها المنقذ ؟) يسمع صوت الباب
الخارجى وهو يوحد محدثا جلبة وضوضاء ،
يقفز ديون ويضع قناعه الساخر على وجهه مرة
أخرى ، وي طرح جانبا الكتاب المقدس)
ياللمسيحية التليدة ! يا للام الراسخة البنيان !
وأنت أيها الطفل الذى ييكى فى الظلام ، أنت !
(يضحك ضحكة مريرة يزدري فيها نفسه ،

ويقترب صوت وقع أقدام فيتناول جريدة ويختفي وراءها على عجل ، تدخل مارجريت مرتدية ملابس من أحدث طراز ، وتبدو ملابسها الغالية ومعطفها الفراء وكأنما قد عنى بهما وأعيد تغيير طرازهما . وعلى الرغم من شبابها الا أنها بدت متقدمة في السن عليها سمات النضج والأمومة ؛ فوجهها المليح لا يزال محتفظا بنضارته وطلاوته وان لاحت عليه بوادر الهم والنكد ، فحول الأنف والضم بدا تعبير الخوف ، والألم الشامل لاح في العينين . يتظاهر ديون بأنه مستغرق في قراءة الجريدة وهي تنحنى فوقه وتقبله .

مارجريت : (بمرح مصطنع) صباح الخير .. في الساعة الرابعة بعد الظهر ! كنت تغط في النوم عندما غادرت البيت !

ديون : (يلفها بذراعيه دون ما اكتراث كما هي عادته .. ويقول بسخرية) يا للزوج المثالي !

مارجريت : (وقد انشغلت بفكرة أخرى ، تأتي وتجلس على الكرسي الموضوع في الجهة اليسرى) خشيت أن يزعجك الأولاد فأرسلتهم الى مسز يونج ليلعبوا

هناك . (لحظة صمت ، ثم يتناول الجريدة مرة
أخرى فتسأله بجزع) يبدو لي أن هذا سيجعلهم
على ما يرام ، ألا ترى ذلك ؟ (لا يجيب على
سؤالها ، فيؤلمها ذلك الى درجة التكدير) كنت
أود أن تهتم بالأولاد أكثر من ذلك يا ديون .

ديون : (ساخرا) هل أصبح أبا .. قبل تناول طعام
الافطار ؟ اننى أكون فى وضع ظريف جدا .
(تسيح بوجهها وكأنها تلقت اساءة ، يربت على
يدها شاعرا بالندم .. وفى عبوس وانهام) وهو
كذلك ، سأحاول .

مارجريت : (تضغط على يده .. وتقول برقة فياضة) العب
معهم ، فأنت فى أعماقك طفل .. طفل أكبر منهم .
ديون : (ساخرا بنفسه ، ومقلبا صفحات الكتاب المقدس)
فى أعماقى .. اننى أصير طفلا بشكل واضح !
« اصبروا وصابروا على هؤلاء الصغار » .

مارجريت : (محتفظة بثقتها بنفسها) أنت أكبر أطفالى .
ديون : (باجلال تهكمى ساخر) لشد ما تضع ملكوت.
السماء فى موضعه !

مارجريت : (تحب يدها) كنت جادة فى الأمر .

ديون : وأنا كذلك .. في بعض الأمور (يضحك)
يا للدبلوماسية المنزلية ! نلتقى في ظل القانون ..
حين لا يملك أحدنا زمام الآخر !

مارجريت : (يبدو عليها التجهم والارتباك ، ثم تقول بلهجة
تمثيلية متكلفة) أريد أن أكون جادة في كلامي
معك ، أيها الشاب الصغير ! فأنت لا زلت سادرا
فيما بدأته في العام الماضي وأنت خارج البلاد من
ادمان للخمر وعكوف على القمار بالرغم من
وعودك الكثيرة بالاقلاع عن هذه الأشياء .

ديون : من وقت ما عرفت ذلك لم يمد في امكاني أن
أكون فنانا .. اللهم في حياتي .. بل وحتى في
حياتي لم أعد فنانا ! (يضحك بمرارة) .

مارجريت : (باقتناع) ولكنك « تستطيع » أن ترسم
يا ديون .. رسومات جميلة !

ديون : (بألم عميق) لا ! (يتناول يدها بسرعة ويقبلها
بامتنان) أنا أحب مارجريت ! ان جهلها بالأشياء
يقطع على الفهم كل سبيل ! (ثم بمرارة) .. أم
تراها الرحمة ؟

مارجريت . : لم يبق لنا في البنك الا حوالى مائة دولار .

ديون : (بدهشة مذهلة) ماذا ! هل النقود التي بعنا بها
البيت نفدت عن آخرها ؟

مارجريت : (باعياء) كل يوم تقريبا كنت تصرف شيكات ..
وكنت تشرب ولا تعمل لشيء حسابا ..

ديون : (مستثارا) أنا عارف ! (لحظة صمت ثم بصرامة)
لم يعد لنا عقار تتكل عليه ، ايه ؟ ولكن لا بأس ،
فما بعناه عشنا به خمس سنوات خارج البلاد في
أمن وسلام ، واشترينا به قليلا من السعادة ..
سعادة من نوع ما .. أليس كذلك ؟ سعادة
العيش والحب وانجاب الأطفال .. (لحظة صمت
قصيرة ، ثم بمرارة) .. كنت أظن .أنتى رسام
كبير قبل أن أكتشف أنتى لا أستطيع أن أرسم
شيئا !

مارجريت : (باقتناع مصطنع هذه المرة) . ولكنك
« تستطيع » أن ترسم .. رسومات جميلة !

ديون : (بغضب) اسكتى ! (لحظة صمت .. ثم
باستهزاء) وهل تظن زوجتى أنها بذلك تهيوئنى
لأن أستقر وأعول أسرتى على النحو الهزيل الذى
يجب أن يعنادوه فيما بعد ؟

مارجريت : (بخجل) لم أقل هذا .. ولا يزال هناك شيء ما ينبغي عمله .

ديون : (بفضافة) هل تستطيع مسز أتونى أن تفيدنا فتقول لنا ما هو هذا الشيء ؟

مارجريت : قابلت بيلى براون فى الشارع فقال انك تستطيع أن تكون معماريا قديرا اذا ثابرت على ذلك .

ديون : يا له من متملق ! بدلا من أن أترك الكلية عندما مات أبى ؟ بدلا من أن أتزوج بيجى وأسافر الى الخارج وأنعم بالسعادة ؟

مارجريت : (وكأنها لم تسمع) كان يتكلم عن اجادتك الرسم .

ديون : بيلى كان يحب مارجريت فى وقت من الأوقات .

مارجريت : وكان يود أن يعرف لماذا امتنعت تماما عن زيارته .

ديون : انه شديد الاكباب على النجاح ، وتلك مشيئة

مامون اله المال ! أتونى وبراون ببناء ان

ومقاولان .. يقضى الموت على أتونى وأنا أبيع

تركتى .. ويتخرج بيلى فى الكلية .. فيصبح

براون وولده بناءين ومعمارين .. ويفقد العجوز

براون حلاوة الفخر بالأبوة .. فيبقى لنا وليم .

ا . براون المعمارى ! لشد ما اتخذت حياته نفسها

طابع التصميم المعماري ! ولشد ما هو بناء لبناته
من الطين !

مارجريت : طلب منى بالحاح أن أسألك أن تزوره في داره .

ديون : (يقفز على قدميه .. ويقول بتأكيد) كلا !

يا للكبرياء ! كنت — وما زلت — حيا !

مارجريت : لماذا لا تتحدث معه ؟

ديون : في سقوطى كبرياء !

مارجريت : كنتما صديقين حميمين على الدوام .

ديون : (ييأس متزايد) ان الكبرياء التي تأتي بعد

سقوط الانسان .. تجعله يضحك من الهزائم التي

صنعتها يدها !

مارجريت : لا أقول من أجلى .. بل من أجلك أنت .. وفوق

كل شيء من أجل الأولاد !

ديون : (ييأس فظيع) والكبرياء ! الكبرياء التي بدونها

تصبح الآلهة حشرات !

مارجريت : (بعد فترة صمت ، برقة ووداعة) ألا تريد أن

تزوره ؟ هل تؤلمك زيارته ؟ وهو كذلك يا عزيزي .

لا تهتم ، سندبر أمورنا بطريقة ما .. ينبغي

ألا تنزعج .. وينبغي أن تبدأ في رسوماتك

الجميلة مرة أخرى .. وفي امكاني أن أحصل على
هذه الوظيفة في المكتبة .. وكم سيكون العمل
هناك تسلية لي ! .. (تمد يدها وتأخذ يده ..
وتقول برقة) أحبك يا عزيزي ، وأنا قد فهمت .

ديون : (يغوص في مقعده ذليلاً كبيراً وقد أشاح
بوجهه عنها وأشاحت بوجهها عنه بالرغم من أن
يديهما بقيتا متشابكتين .. ويقول بصوت متهافت
مرتعش) ان الكبرياء تموت ! (قالها وكأنها كان
يموت اختناقاً ، ثم يزيح القناع عن وجهه
المستكين ، الشاحب ، الأسيان ، ويصبح وكأنه
راهب في الصحراء يدرأ بصلواته الشيطان) ان
الكبرياء قد ماتت ! فطوبى للمتواضعين ! وطوبى
للمساكين بالروح !

مارجريت : (دون أن تنظر اليه .. وبصوت فيه حنين الأمومة
وفيه العزاء والسلوى) يا ولدي المسكين !

ديون : (باستياء .. يعيد القناع الى وجهه ويقفز على
قدميه .. ويقول باستهزاء) طوبى للمتواضعين
لأنهم سوف يرثون القبور ! وطوبى للمساكين
بالروح لأنهم عمى لا يبصرون ! (ثم بمرارة

أليمة) وهو كذلك ! اذن فأنا أقول لزوجتي أن
تذهب وتسال بيلى براون .. فذلك أقتل لى مما
لو ذهبت اليه بنفسى ! (بسخرية حادة) تسأله
ان كان فى مقدوره أن يجد منفذا لشاب موهوب
يكون شريفا حين لا يكون صاحيا .. وتتوسل
اليه وترجوه باسم الحب القديم ، وباسم الصداقة
التقديمية .. أن يكون بطلا كريما فينقذ المرأة
وأولادها الصغار ! (يضحك ضحكة شيطانية
ثم يبتسم ابتسامة هازئة ويسرع فى الخروج) .

مارجريت : (بوداعة) هل أنت خارج الى الشارع يا ديون ؟

ديون : نعم .

مارجريت : هل مررت على دكان الجزار تسأله أن يبعث

برطلين من لحم الخنزير وأن يقطعه الى شرائح ؟

ديون : نعم .

مارجريت : ومررت بمنزل مسز يونج لتقول للأولاد أن

يسرعوا بالمجيء الى البيت ؟

ديون : نعم .

مارجريت : وهل تعود لتناول طعام العشاء ، يا ديون ؟

ديون : لا (يذهب ، ويسمع وصد الباب الخلفى ، ترسل

مارجريت زفرات حيرى غامضة وتتجه الى النافذة
وتطل منها الى الخارج) .

مارجريت : (بقلق وضجر) أرجو أن يكونوا حذرين حين
يعبرون الشارع .

ستاد

المنظر الثاني

المنظر ، مكتب بيلي براون ، في الخامسة بعد الظهر . في الوسط مكتب فاخر مصنوع من خشب المجنة وخلفه كرسى دائرى ، وفي ناحية المكتب اليسرى كرسى بمسندين من كراسى المكتب ، وعلى يمين المكتب أريكة مكاتب . خلفية المنظر عبارة عن ستار خلفى يبدو مشابها في زيادة العناية بالتفاصيل غير اللازمة لما رأيناه في المنظر الأول .

يرى بيلي براون جالسا الى المكتب يفحص تصميمًا أزرق اللون على ضوء مصباح المكتب ، لقد كبر وبدأ بهي الطلعة حسن الهندام في هيئة رجل الأعمال الأمريكى الذى تعلم في الكلية وأصبح فازها في عمله ؛ ومع هذا فهو صبى في ملامحه ، جذاب في شخصيته . يدق التليفون .

براون : (يرد على التليفون) نعم ؟ من ؟ (يقول هذا بدهشة ، ثم بسرور المتلهف) دعها تدخل فورا (يتهمز ويتجه الى الباب فى لهفة وتعجب ، تدخل مارجرىت وقد توارى وجهها خلف قناع الزوجة الشابة الجميلة ؛ ولا زالت هى المرأة التى تتخذ من الأمور موقفا فيه السذاجة والبراءة وفيه الشجاعة والأمل من غير أن تعترف للعالم بما

أصابها من جراح . ترى مرتدية ملابس المنظر
الأول مع اضافة القليل من الزينة هنا وهناك) .

مارجريت : (بائسرا كبر) أهلا ، ببللى براون !

براون : (بصفافها وهو مأخوذ بحضورها) تفضلى .

اجلسى . هذه مفاجأة سارة يا مارجريت . (تجلس
على الأريكة بينما بجلس هو على كرسبه الدائرى
خلف المكتب كما كان من قبل) .

مارجريت : (ناظرة فيما حولها) يا للمكاتب الجميلة ! ياه !

ولكن ببللى براون أصبح عظيما !

براون : (مسرورا) انتقلت الى هنا توا ، المكان القديم

كان خائقا للغاية .

مارجريت يدل على السعادة والنجاح .. ولكن كل واحد

لا يملك الا أن يقول ان ببللى موفق فى عمله كل

التوفيق .

براون : (بتواضع) حسنا ، ولكى أكون صريحا أقول ان

الأمر فى معظمه راجع الى الحظ ، فالأشياء

تأتينى عفوا من غير أن أبذل فيها عناء كبيرا (ثم

بكبرياء وخجل) ومع هذا .. قمت بنفسى بأداء

بعض الأعمال (ينتزع الرسم من المكتب) أترين .

هذا ؟ انه تصميمى لمبنى البلدية الجديد ، قبلته
اللجنة فى الحال ولكن ببعض الشروط .

مارجريت : (تناوله .. وبحيرة) أوه ؟ (تفرج عليه اجمالا
وتسود لحظة صمت وفجأة) تكلمت فى اليوم
الماضى عن ديون وكيف أنه كان يجيد الرسم ..

براون : (بقليل من الجحود) نعم ، لا شك أنه كان يجيد
الرسم (يأخذ منها الرسم ومرة واحدة يستغرق
فيه ثم يحول نظره عنه وقد علاه التجهم) هل
لاحظت أنه يحتاج الى شىء ؟

مارجريت : (بلا مبالاة) لا ، على الاطلاق .

براون : (بابتسامة واثراح) أرادت اللجنة أن يغلب
عليه الطابع الأمريكى وقالت انه من الطراز
التقليدى ، وانه كثير الشبه بالضريح اليونانى —
الرومانى (يضحك) يريدون أن أدخل عليه
حلية مبتكرة من الفن الحديث فتبعث فيه الحياة
وتجعله يبدو مختلفا عن قاعات البلدية فى المدن
الأخرى . (يعيد الرسم الى مكانه على المكتب)
وكنت أفكر فى الطريقة التى أعيده بها اليهم

ولكن يظهر أن تفكيرى لا يميل الى السير فى
هذا الطريق ، هل عندك اقتراح ؟

مارجريت : (وكأنها لم تسمع) هل كان يبلى براون يقول
عن ديون انه بلا شك يجيد الرسم ؟

براون : (محاولا ألا يظهر استياءه) ولم لا ، نعم .. كان
ولا يزال .. وهذا ما أتوقعه . (لحظة صمت ،
يتحكم فيما أحس به من انفعال الغل والاستياء ،
ويلتفت إليها بوجه سمح) ديون فى امكانه أن
يصبح معماريا قديرا بارعا .

مارجريت : (بزهو وخيلاء) أنا أعرف ، ففى وسعه أن يكون
ما يشاء .

براون : (تمضى فترة صمت ، ويقول باستياء) وهل
يشتغل بشىء هذه الأيام ؟

مارجريت : (مدافعة عنه) أوه ، نعم ! انه يرسم رسومات
رائعة ! الا أنه يكاد يكون كالطفل ، فهو غير
عملى ، لا يحاول أن يقيم معرضا ، ولا أن يشتغل
بشىء .

براون : (مندهشا) أظنه حدثنى فى المرة التى قابلته

فيها عن اتلافه جميع صورته ، وعن سأمه من الرسم واقلعه عنه نهائيا .

مارجريت : (بسرعة) كثيرا ما يقول ذلك للناس حتى انه لا يريد أن يطلع أحد على أعماله ، تصور ! وكثيرا ما يقول عنها انها تافهة .. بينما هي في الواقع رائعة الجمال ! انه شديد التواضع في خير ما يملك ، ألا ترى ذلك ؟ ولكن الحق يقال انه لم يرسم الا القليل النادر منذ عودتنا من الخارج . وأنت تعلم أن الأولاد يأخذون من وقته الكثير ، فهو يحبهم الى درجة العبادة ! وما أخشاه هو أنه أصبح رجل بيت بشكل لا يطاق ، على العكس تماما مما كان يتوقعه أي انسان عرفه في الأيام الماضية .

براون : (بحيرة وألم شديدين لاختصاصها له ولمعرفته بالحقيقة) نعم ، أنا أعرف (يمسك عن وعيه بالأمر) .

مارجريت : (وقد تنبته الى شيء ما في أسلوبه) ولكن يبدو أن مروجي الاشاعات يذيعون عنه باستمرار نفس القصص السخيفة (تغضب ضحكة) مسكين

يا ديون ! ولكن ماذا يضير الكلب لو أطلقت عليه
اسما قبيحا ! (يتحسرج صوتها على الرغم منها).

براون : (بسرعة) لم أسمع شيئا من هذه القصص ...
(يتوقف مرتابا ثم يعزم على الخوض فى الكلام)
الا ما يتعلق بأمور المال .

مارجريت : (متكلفة الضحك) أوه ، ربما كانت هذه صحيحة
نوعا ما ؛ فان ديون يبذر أمواله بشكل جنونى
شأن كل فنان .

براون : (بنوع من العناد) هناك اشاعة تقول انك قدمت
طلبا للحصول على وظيفة فى المكتبة .

مارجريت : (متكلفة لهجة المرح) نعم ، هذا صحيح ! وسأجد
فيها اللهو واللعب .. وربما أجد فيها ما يوسع
مداركى واذا كان لا بد لأحدنا أن يكون عمليا ،
فلم لا أكون أنا ؟ (تتكلف ضحكة الفتاة المرحة).

براون : (يتناول يدها بسرعة .. وبخشونة) اسمعى
يا مارجريت ، تسمحين أن تتكلم بصراحة تامة ؟
اننى ذلك الصديق القديم ، واننى شديد الرغبة
فى أن .. وأنت تعلمين تمام العلم أننى أعمل أى
شئ فى العالم لكى أساعدك .. أو أساعد ديون .

مارجريت : (تسحب يدها ، ويبرود) أخشى ألا أكون قد
فهمت ما تقول يا بيلي براون .

براون : (بارتباك حقيقي) حسنا ، فأنا ما قصدت الا ..
كما تعرفين .. أنك اذا احتجت .. (لحظة صمت ،
ينظر حائرا الى وجهها المعرض عنه .. ثم ينتقل
الى موضع آخر وكأنه يتكلم عن أمر واقع)
عندى اقتراح سأعرضه على ديون .. اذا قدر لي
أن ألقاه . والاقتراح هو هذا : ان الأعمال
تراكمت على .. فقد واتاني الحظ .. ولكنى
قليل الأيدي المساعدة . وأنا في حاجة ماسة الى
رئيس قدير للرسامين .. والا كنت عرضة
للضياع . فهل تظنين أن ديون يوافق على هذا
الاقتراح .. كحل مؤقت .. حتى يعود ثانية الى
مزاجه في الرسم ؟

مارجريت : (تجاهد في اخفاء تلهفها وارتياحها .. وتقول
بحكمة) نعم .. انى أظن هذا فعلا . فهو مثال
طيب للخلق الرياضى ، وهو ويلى كانا يوما ما
صديقين حميمين ، وأعلم أنه سيكون شديد
الحماس لمساعدة صديقه .

براون : (بخجل وحياء) ظننت أنه سيكون حساسا من ناحية العمل لصالحى .. أقصد من ناحية العمل معى .. فلو أنه لم يبع تركته لوالدى ، لكان شريكى الآن .. (بحماس) .. وأقسم أننى أود لو أنه كان شريكا لى ! (ثم بجفاء) والآن يا مارجريت دعينا نحاول معرفة رأيه الصريح الواضح ، فهل هو الآن فى البيت ؟ (يمد يده الى التليفون) .

مارجريت : (مهرولة) لا ، انه .. انه غادر البيت فى نزهة طويلة على الأقدام .

براون : ربما استطعت أن التقى به فيما بعد ، فى مكان ما فى المدينة .

مارجريت : (بنوع من الرجاء) أرجو ألا تتعب نفسك ، ولا ضرورة لذلك . فأنا واثقة أننى حين أكلمه .. وهو عائد الى البيت لتناول الغداء .. (تهض) اذن فقد تم كل شئ ، أليس كذلك ؟ وسيكون ديون فى غاية السرور لأن يقدر على معاونة صديق قديم .. فهو شديد الاخلاص ، ولشد

ما يجب بيلي براون ! (تمد يدها اليه) يجب أن
أذهب الآن !

براون : (يصفحها) مع السلامة يا مارجريت . وأرجو
أن تكثري من زيارتك لنا عندما يأتي ديون الى
هنا .

مارجريت : أجل (تذهب) .

براون : (يصفحها) مع السلامة يا مارجريت . وأرجو
كتابة من التفكير السوداوى العميق ، ثم يتمم
في اشفاق واعجاب (مسكينة يا مارجريت ! انها
مرحة لطيفة ، ولكن حرام أن تقسو عليها الحياة
اللعينة كل هذه القسوة (مغيظا) وقسما بالله
لأتحدثن الى ديون بما فيه الكفاية عن كل يوم
من هذه الأيام !

ستار

المنظر الثالث

المنظر : ردهة بيت سيبل ، فى الوسط قرب المؤخرة « بيانو »
آلى من النوع الذى يعزف حين يلقي فيه بقطعة من النقود ، وعلى
يمينه أريكة قذرة مذهبة قديمة الاستعمال . وعلى اليسار كرسى
منقوش بلا تنميق، قماشه من القטיפه رخيصة الثمن حمراء اللون .
وخلفية المنظر عبارة عن حائط فى المؤخرة مغطى بورق من نوع
رخيص لونه أصفر ثقيل قاتم يشبه فيما يحدثه من تأثير . .
الأرض البور التى تركت بلا زرع موسما كاملا فى بواكير الربيع .
وفوق أعلى البيانو منبه رخيص ألقى الى جانبه بقناع سيبل .
يرى ديون مستلقيا على ظهره فوق الأريكة وقد راح فى نوم
عميق ، وسقط قناعه على صدره ، وبدا وجهه الشاحب غريبا فيما
يعلوه من طهر وروحانية ، وما يشوبه من كآبة وحزن .
يسمع صوت البيانو يترنح بلحن عاطفى لأغنية «أمى . أمى» .
وترى سيبل جالسة على كرسى بغير مسند أمام البيانو ، وهى
فتاة شقراء شهوانية قوية البدن هادئة الأعصاب فى نحو العشرين
من عمرها . تعلق وجهها الصحة والنضارة ، ويتميز قوامها بنهدين
ممتلئين وردفين عريضين ، وهى تتحرك فى بطء وصلابة كأنها
حيوان أضناه التعب . وعيناها الواسعتان حالمتان تفضحان أعرق
الغرائز وأشدھا اثاره . تمضغ قطعة من اللادن كأنها بقرة مقدسة
تسيت أن الزمن يمر ، وأنه أبدى ليست له من نهاية . أما عيناها
فقد ركزتهما بلا مبالاة على وجه ديون الشاحب .

سيبل : (تنظر الى الساعة والنغم ينبعث ، تراها تشير

الى منتصف الليل فتمشى ببطء نحو ديون وتضع
يديها برفق فوق جبينه (استيقظ يا ديون !

ديون : (يتأفف ويتنهد ثم يتمتم كالحالم) « ووضع
يديه عليهم فاذا هم مبرءون » . (ثم يشب فاتحا
عينيه ويحدق فيها حائرا وهو لا يزال جالسا في
فراشه) ماذا .. أين .. من أنت ؟ (يتناول قناعه
ويضعه على وجهه محتميا به) .

سبيل : (بهدوء واطمئنان) امرأة أخرى ولا زيادة ، كنت
ملقى على سلالم بيتي تغط في النوم ولم أشأ أن
أخوض أى مغامرة فأعرض نفسي لمتاعب كثيرة
مع الشرطة ؛ اذ يجعلوننى موضع لوم ، ويقبضون
عليك ويضعونك في السجن ؛ ولهذا أخذتك الى
داخل البيت حتى تفيق من النوم .

ديون : (بسخرية) طوبى للرحماء يا أختاه ! وأنا مقلس ..
ولكنك ستتالين أجرك في السماء !

سبيل : (بهدوء) أنا لم أضيع ما صنعته فيك من جميل ،
ولم كنت أضيعه ؟ فقد كنت سعيدا ، ألم تكن
كذلك ؟

ديون : (برضا واستحسان) يا للروعة ! فأنت على ما يبدو لى لست من دعاة الأخلاق .

سييل : (مستمرة فى كلامها) وأنت الآخر فتى طيب .. عندما تكون نائما . وأرى من الأحسن لك أن تذهب الى بينك وتأوى الى فراشك والا أغلقوا دونك الباب .

ديون : (ساخرا) والآن تصبحين ولك خصائص الأم ، يا فتاة الكرة الأرضية . وهل هذا هو الحل الوحيد أن تقيدى روحى وتضعيها فى كل دثار فارغ ؟ (تحديق فى قناعه وقد قست ملامح وجهها فيضحك) ولكن أرجو ألا تكفى عن تدليك جبھتى ، انها تؤلمنى ويدك هى الدهان الرطب الذى اتخذته كمادا لوخزات الأفكار !

سييل : (بهدوء) كفى تمثيلا ، فأنا أكره التمثيل المبالغ فيه . (تنظر اليه وكأنها تنتظر منه أن يزيح قناعه .. ثم تدير ظهرها بلا مبالاة وتتجه نحو اليبانوى) ولا بأس ، فاذا راق لك أن تكون شيطانا رجيما شأن كل زائر آخر يجب اللعب ، فلا مانع عندى من أن ألعب معك . (تتناول

قناعها وتلبسه .. ثم تستدير اليه .. فتبدو في
القناع عاهرا شرسة مكحولة العينين محمرة
الشفقتين ، وفي صوت خشن غليظ (أفصح عن
نواياك غير الشريفة ان كان عندك منها واحدة !
وأنا لا أستطيع أن أجلس بصحبتك الليل بطوله
فدعنا نستمع الى شيء من الموسيقى !) تضع
قطعة من النقود في الجهاز فيبدأ في عزف اللحن
العاطفي نفسه . يحدق القناعان أحدهما في
الآخر ، فتضحك (أضرب ضربتك ! فأنا على
أتم استعداد ! واللعبة لعبتك أيها الشيطان
الصغير !

ديون : (يزيح قناعه ببطء فتوقف الموسيقى بسرعة ،
يبدو وجهه وديعا حزينا .. ويقول بانكسار)
آسف ، اننى لا أكاد ألمس حتى يعترينى الألم !

سبيل : (تنتزع قناعها ، وتعود فتجلس على كرسيها
وتتعاطف معه) يا للطفل المسكين ! لم يكن لى
طفل أبدا ، ومع هذا أستطيع أن أخمن أن أهلك
يعاتقونك ويقبلونك ويجلسونك فوق حجورهم
ويقرصونك ويحلون لهم أن يروك تلبس وتتعرى ..

كما لو كنت ملكا لهم .. وأراهنك أنتى لو كان
لى طفل لما سمحت لهم أن يعاملوه بهذا الشكل .
ديون : (ملتفتا إليها) وأنت أيضا ضللت طريقك فى
منعطفات مغلقة لا منفذ منها ولا خروج . (وفجأة
يمد يده قريبا منها) ولكنك قوية ، فدعينا نكن
صديقين .

سميل : (تحديق فى وجهه بصرامة عجيبة كأنها تفتش فيه
عن شىء) ولا شىء أكثر من هذا ؟

ديون : (يابتسامة غريبة) بل دعينا نقل .. لا شىء أقل
من هذا ! (تأخذ يده ويدق جرس الباب الخارجى
فيحديق كل منهما فى الآخر فيعود الجرس الى
الدق) .

سميل : (تلبس قناعها فيفعل ديون مثلما فعلت فتقول
ساخرة) من الصعب عليك أن تحب المعيشة اذا
كنت قد أحببت الحياة . وأفضل عندى أن أتمى
الى « نقابة العمال الأمريكين » وأعمل فى
صناديق الصابون ثمانى ساعات فى اليوم ! هل
معك قرش يا صغيرى ؟ ليعزف لنا لحنا .
(تخرج ، ويضع ديون قرشا فى البيانو فينبعث

اللحن العاطفى نفسه . تعود سبيل ووراءها يبلى
براون . يبدو رزينا صارم الوجه الا أن كرمه
المتناهى لديون مما يمكن أن يرى . يوقف ديون
الموسيقى ، ويتبادل النظرات مع يبلى لحظة من
الوقت . تنظر سبيل اليهما معا ثم تتشاءب
متضايقة) انه يبحث عنك ، أطفنا النور عندما
تخرجان ، فأنا ذاهبة لأنام . (تهم بالخروج .. ثم
تقول لديون وكأنها تذكرت شيئا) دع الحياة
وشأنها تصبح الحياة على ما يرام . (وبطريقة
آلية تومض بابتسامة تجارية الى يبلى) والآن
أنت تعرف الطريقة أيها السيد الوسيم ، نادنى
مرة ثانية ! (تخرج) .

براون : (بعد فترة صمت حائرة) أهلا ، ديون ! كنت
أبحث عنك فى أنحاء المدينة ، وكان هذا المكان
آخر احتمال بقى لى .. (فترة صمت أخرى ..
وبضيق) هيا بنا تمشى .

ديون : (ساخرا) أقلعت عن هذا التمرين لما علمت أن
المشى يطيل العمر .

براون : (باقناع) هيا يا ديون . ولتكن رفيقا صالحا ،
ولا شك فى أنك لن تبقى هنا ..

ديون : ألم يكن يبلى براون يود أن يرانى وقد أخذت
متلبا بالجريمة ، آه ؟

براون : لا تكن غيبا مجنونا ! استمع الى ! كنت أبحث
عنك لأسباب شخصية بحتة ، فأنا فى حاجة الى
مساعدتك .

ديون : (مندهشا) ماذا ؟

براون : عندى اقتراح أرجو باسم صداقتنا القديمة أن
يصادف عندك القبول . وأكون صريحا معك
يا ديون فأقول انى فى حاجة اليك لتساعدنى فى
المكتب .

ديون : (بضحكة جافة) اذن فهذه هى الوظيفة ، أليس
كذلك ؟ وبذلك تكون زوجتى المسكينة قد
قامت بالتوسل والاستجداء !

براون : (مأخوذا .. وبحدة) بالعكس ، أنا الذى توسلت
ليها أن ترجوك بقبول الوظيفة ! (يزداد غضبا)
التفت الى يا ديون ! أنا لا أحب أن أسمعك
تكلم عن مارجريت بهذه الطريقة ! وما كنت
تفعل هذا لو لم تكن ثملا ! (يهزه فجأة) ماذا
دهاك بحق الجحيم ، وكيفما كان ! فأنت لم تكن

من قبل كما أنت الآن ! وماذا أنت فاعل بنفسك
بحق الشيطان .. هل تهوى الى الحضيض وتجري
معك مارجریت ؟ لو أنك سمعت دفاعها عنك ،
وكذبها من أجلك ، وقولها لى عن العمل الشاق
الذى تعمله ، والرسومات الجميلة التى ترسمها ،
والبقاء فى البيت شغفا بالأولاد ! .. على حين
يعلم كل انسان أنك تخرج من البيت كل ليلة
لتنغمس فى الشراب ، وتقامر بآخر ما بقى من
ميراثك .. (يتوقف عن الكلام خجلا كابحا
جماح نفسه) .

ديون : (منهكا) كانت تكذب من أجل زوجها لا من
أجل أيها الأحق ! ولكن لا فائدة من الشرح
والتفسير . (ثم بانفعال مفاجئ مثير) وما الذى
تريده ؟ أنا موافق على أى شىء .. بشرط الابقاء
على الأسرار المهينة صما لا تنطق ولا تبين !

براون : (بصوت أجش .. وبفظافة) كلام فارغ !
ولا تحاول أن تتملص ! فلا عذر لك وأنت تعلم
ذلك . (وبينما ديون لا يجيب .. يتكلم بلهجة
التائب) الا أئننى أعلم أنه ما كان يصح أن

أتحدث بهذه الطريقة الى صديق قديم ! وذلك
فحسب لأننا كنا مثال الصديقين القديمين ..
ولا أحب أن أراك تضيع نفسك .. أنت يا من
كنت أرجحنا عقلا ! ولكن اطرح هذا جانبا ، فأنا
يبدو لي أنك أخبت وأمكر من أن تعتقد أنني
لا أقصد سوى ما قلته لك الآن !

ديون : (مأخوذاً) أعلم أن يبلى كان دائما صديق ديون
أتونى .

براون : أنت على حق فيما تقول عنى .. ولو أنك أتحت
لي بعض الفرصة لبرهنت على هذا منذ زمن
بعيد ! وبعد هذا كله ، لم أستطع الاستمرار في
ملاحقتك وأنت تصدني في كل مرة ، فالإنسان
عنده شيء من الكبرياء !

ديون : (بتهمك أليم) خطأ مميت ! ولا خطأ أكبر منه
أبدا ! أبدا مهما كان الأمر ! يا له من عمل مجرد
من الخلق ! طوبى للمساكين بالروح ، يا أخى !
ترى متى سأبدأ في العمل ؟

براون : (بحماس) واذن سوف تتسلم ال .. عندما تبدأ
في مساعدتى ؟

ديون : (بانهاك مرير) سوف أتسلم الوظيفة ، فالمرء لا بد له من عمل يمضى به الوقت ، ما دام الانسان ينتظر .. حتى تحل روحه في جسد غيره وتعود الى الحياة مرة أخرى .

براون : (بمزاح) يبدو لي أننا شغلنا أنفسنا بهذا الأمر قبل الأوان . (يحاول أن يستحث ديون على التحرك) لنمض الآن مسرعين ، فقد تأخرنا بعض الشيء .

ديون : (يزيح يده عن كنفه ، ويمضى مبتعدا عنه ، ويقول بعد فترة صمت) هل لا يزال كرسي أبي هناك ؟

براون : (يشيح بوجهه .. ويقول بحيرة وارتباك) أنا .. أنا لا أتذكر حقيقة يا ديون .. سوف أبحث عنه .

ديون : (ينتزع قناعه .. ويقول بهدوء وبطء) أحب أن أجلس حيث جمع هو ما بددته أنا . لشد ما كان أحدنا غريبا عن الآخر ! يوم رقد مفارقا الحياة بدا لي أن وجهه ليس غريبا عليّ حتى أنني حرت وساءلت نفسي ترى أين التقيت بهذا الرجل من قبل . أنا لم ألتق به الا لحظة ميلادي ، وبعد ذلك دب الخلاف بيننا وأخذ ينمو ، وينمو معه

الخجل المتوارى . وماذا جرى لأُمى ؟ انى
أتذكرها فتاة جميلة فيها شىء غريب ، عيناها
حائرتان مؤثرتان كأن الله أغلق دونهما مقصورة
فلما وتركها بلا تفسير أو بيان . وكنت أنا اللعبة
الوحيدة التى سمح لها بها زوجها ، ذلك الأب
الوحش . وكم من سنين كثيرة لعبت معها فى ذلك
البيت لعبة الأم والطفل حتى اليوم الأخير ، يوم
رأيتها من خلال دمتين وهى تموت وعليها كبرياء
المرأة الخجول التى أطالت ثوبها . ورفعت
شعرها . وشعرت حينذاك أننى كاللعبة المهملة
فصرخت باكيا أن يدفنونى معها ، لأن يدها
وحدها هى التى كانت تربت علىّ دون أن
تخدشنى . وبقيت فى نعشها يومين قبل أن
يفلقوه ، فبدت وكأنها عاشت طويلا وشاخت فى
العمر . وخيل الىّ وأنا أنظر اليها النظرة الأخيرة
أنها نسيتهى بطهارتها ، وأنها لن تقنى ولن تبيد .
وعرفت أن بكائى كان شيئا كئيبا لا يرجى منه
نفع لبتولتها ، لذا تراجعمت عنها ، وعدت الى
الحياة بأعصاب عارية متوفزة كأنها البراغيث .

ودار الزمن دورته واذا بفتاة أخرى تنادينى في
 ضوء القمر وتدعونى ولدها ؛ وتزوجتنى فكان
 لى فيها ثلاث أمهات التقين فى شخص واحد . أما
 أنا فمضيت أركض على كفى . فى سعى كليل لكى
 أرى الله ! (يضحك بوحشية .. ويلبس قناعه)
 الا أن ذلك « الساخر العتيق » أعشى بصرى
 فكان على . الآن أن أكف عن البحث « عنه » وأن
 أتجه بدلا منه الى « الواحد الجاد الناجح
 الموجود فى كل مكان » الى الاله الكبير مستر
 براون ! (ينحنى أمامه انحناء كبيرة ساخرة) .

براون : (مستثارا ولكن متلظفا) اسكت أيها الأبله !

أنت لا زلت مخمورا . تعال معى ! ودعنا نبدأ !

(يأخذ ديون من ذراعه ويطفىء النور) .

ديون : (يسمع كلامه الساخر آتيا من جوف الظلام)

أنا الشاة جز صوفها فأصبحت عريانة جرداء !

فهبها سقها برفق وتنوير ، أيها القدير براون !

ستار

الفصل الثاني

المنظر الأول

المنظر : ردهة بيت سييل بعد سبع سنوات قبيل مغيب الشمس فى يوم من أيام الربيع . نفس ترتيب الأثاث الا أن الكرسي والأريكة قد استبدلا بأخرين جديدين ثمنهما غال وألوانهما زاهية ، البيانو الآلى القديم فى الوسط يبدو تماما كما كان ، والمنبه الرخيص لا يزال موضوعا فى أعلاه ، وعلى كلا جانبي المنبه ألقى قناعا سييل وديون . الستار الخلفى للمنظر مغطى بورق لامع مضى ، تنأثرت فيه صور الفاكهة والأزهار ذات الألوان القرمزية والأرجوانية واحدة فوق أخرى بصورة مخلة خالية من أى نظام واضح .

يرى ديون جالسا على الكرسي فى الناحية اليسرى ، وسييل جالسة على الأريكة وبينهما منضدة للعب الورق ، وكلاهما منهمك فى اللعب . يرى ديون الآن وقد شاب شعره قبل الأوان ، وبدا وجهه وجه شهيد ناسك عضه الألم وعذاب النفس الا أنه أضيء من داخل ذاته بهدوء روحانى وطيبة انسانية .

أما سييل فقد بدت أشد قوة وأكثر شهوانية ، الا أن وجهها ظل محتفظا بنضارته وخلوه من التجاعيد كما زاد هدوء وعمقا وبدت شبيهة بصنم « الأرض الأم » الثابت الذى لا يتحرك .

البيانو ينشج بنفس لحنه العاطفى القديم ، وهما يلعبان الورق بجهد واقبال . تتوقف الموسيقى .

سييل : (بتأمل) أنا أحب هذه الألحان القديمة التي تفيض بالشجن ؛ انها تجعلنى على علم بالناس أعرف دخائل نفوسهم .. وما يجعلهم يحبون جارهم ويقتلونه .. فالموسيقى هى بكاء النفوس وأفراحها !

ديون : (بحنان) وكل نعمة عبارة عن تريلة . وهذه الأنعام أبدا تحاول أن تجد « الكلمة » التي كانت في « البدء » .

سييل : انها تحاول أن تعرف أكثر من اللازم ، وهذا مما يتعبها ويجعلها واهنة . وأنا لم أحيها بلغز نفسى وانما قدمت لها نفسى لقمة سائغة ففهمتها ، وعرفت دورها فأدته بطريقة طبيعية . وفي كلا الحالين كنا قادرين على الاحتفاظ بفضيلتنا الحقيقية ، هذا اذا كنت تفهمنى (تلعب بآخر ورقة معها .. وبلا مبالاة) كسبت مرة أخرى .

ديون : (يتسهم) أنت سعيدة الحظ ، وهذا ما لم يواتنى أبدا .

سييل : أنت تتقدم فى اللعب ، ولكنه يعلم أنك ما زلت تريد أن تكسب .. ولو قليلا .. أما أنا ، فمن

الواضح أن كل ما أهتم به هو اللعب . (توزع الورق من أجل دور آخر) وبمناسبة الحديث عن موسيقى المسجلة ، أقول ان صاحبنا المستر براون يكره هذا الصندوق العتيق . (وعند ذكر اسم براون يرتجف ديون كأنما أصابه مس على حين غرة ، ويرى في صراع عنيف مع نفسه . وبينما هي ماضية في حديثها ، ينهض وكأنه جهاز آلى فيلبس قناعه ؛ ويرى القناع الآن وقد علاه التلف بشكل مروع حتى استبدلت فيه كل صفات الاله بان بما عرف عن الشيطان مفستوفوليس من قسوة واستهزاء) انه لا يعنى الموسيقى المنبعثة من داخله ، فهذه تعجبه بعض الشيء ولكنه يرى أن الصندوق يبدو رثا حقيرا ويود أن تلقى به مع المهملات . الا أنني قلت له ألا يتحكم فيّ تحكم الزوج لمجرد أنه كان يعوننى فترة طويلة ، هذا والا .. (ترفع بصرها الى أعلى فتري ديون لابما قناعه وواقفا الى جوار البيانو .. وبهدوء) أهلا ؛ هل عدت الى الغيرة ؟

ديون : (باستهزاء) هل وقعت فى غرام من يعولك ، أيتها
البقرة العجوز المقدسة ؟

سييل : (دون أن تغضب) اقطع لسانك ! كنت تطلب
منى هذا منذ سنين . كن كما أنت ! فهو وسيم
وصحيح معافى .. وان يكن كثير الآثام . والذي
جعلك تزعم ما تزعمه هو أنك تظن أن الحب له
أهمية بالغة ، فكيف كان ذلك ؟ انه مجرد شيء
من أشياء كثيرة يقوم بها الانسان ليحافظ على
استمرار الحياة .

ديون : (بنفس اللهجة) اذن كنت تكذبين حين قلت لى
انك أحببتنى ، ألم تقولى ذلك أيتها العاهر
العجوز ؟

سييل : (بمطف وحنان) أنت لن تكبر أبدا ! كنا
صديقين لمدة سبع سنوات ، ألم نكون كذلك ؟
ولم أسمح لنفسى أبدا بأن ترغب فيك ولا لنفسك
بأن ترغب فى . . . وصحيح أننى أحبك ، ولكنه
حب يشتمل على جميع أنواع الحب التى تقيم
بناء العالم . حينا هو خلاصة الحب ، ويخيل الى
أنه أغنى أنواع الحب وأسامها ! (لحظة صمت

ثم تقول بتلطف (لا تتوار ، فانى أعرفك .

ديون : (يتزعزع قناعه ، ويأتى اليها منهوك القوى فيجلس
عند قدميها ويضع رأسه على حجرها ، ويقول
بإبتسامة شاكرة) أنت قوية ، لأنك دائما
تمنحين ، ولقد منحت ضعفى القوة لكى أعيش .

سييل : (تربت على شعره فى أمومة ، وتقول برفق) أنت
لست ضعيفا . ولكنك ولدت وفى عينيك صور
الأشباح ، وكان عندك من الشجاعة ما جعلك
تنظر فى ظلمات حياتك .. فأتابك الخوف (بعد
لحظة صمت) أنا لا ألومك على غيرتك فى بعض
الأحيان من المستر براون .. فأنا أغار من زوجتك
مع اننى أعلم أنك تحبها .

ديون : (ببطء) أنا أحب مارجريت ، ولا أعرف من
تكون زوجتى .

سييل : (بعد لحظة صمت .. تقول بضحكة غريبة
كسيرة) آه ، يا الهى ان الحقيقة تلطنى أحيانا
تلك اللطمة التى ألقاها بين عينى حتى ترنى
النجوم ! .. وعندئذ أحزن حزنا شديدا على
الكثيرين منكم ، على كل ابن لعين لفظته أمه ..

حتى أود أن أجرى عارياً في الطريق فأحب الغوغاء
جميعاً حتى أهلك في حبهم ، وأود أن أمنحك
كلكم ذلك الصنف الجديد من الترياق الذي
يجعلكم تنسون كل شيء .. كل شيء كان دائماً
أبداً من أجل الخير ! (ثم تقول بابتسامة هازئة)
ولكنهم قد لا ينظرون إليّ بأكثر مما ينظر بعضهم
إليّ بعض ، فيظلون سائرين في الطريق حتى
يموتوا دون أن تتداركهم معوتى .

ديون : (وهو حزين) أنت منحتني من القوة ما أواجه
به الموت .

سبيل : ربما كنت شيئاً ذا أهمية ولكن حياتك لا تساوي
شيئاً . فهناك ملايين من الأحياء يولدون في كل
ثانية . والحياة قد تكلف صاحبها ما لا قبل له
باحتماله حتى ولو كان رضيعاً .. شأنها شأن أي
شيء آخر . والحياة ليست مقدسة .. وإنما
المقدس هو ما بداخلك وحده . والذي يبقى هو
التراب .

ديون : (يجثو على ركبتيه ، ويدين مشبوكتين يرفع
بصره شارداً ويصلي بحمى الناسك) « هاأنذا بين

يديك ، أيها الاله « .. (ثم فجأة بنظرة رعب
 وفزع) لا شيء ! أن تشعر بأن حياة انسان
 ينطفىء نورها كأنها شعلة عود رخيص من
 الثقاب .. (يلبس قناعه ويضحك ضحكة صاحبة)
 أن تفظ في نوم عميق وتعلم أنك لن تستيقظ
 أبدا ، لن تستيقظ أبدا ، لتقوم ثانية بأداء وظيفة
 الحياة ! « هبى رياح الموت واسرعى الى ! تعالى
 حالا .. حالا ! » (ينقل هذه العبارة الأخيرة
 بشوق ساخر) .

سييل : (تربت على رأسه بأوممة) هنالك ، لا تنزعج .
 فالموت يولد في الدم ، وعندما يؤون الأوان
 ستجده سهلا هينا .

ديون : (يقفز واقفا على قدميه ويخطو مستشارا) لن
 يطول أمره ، فزوجتى استدعت طبيبا أول أمر ،
 فقال الطبيب ان قلبى انتهى .. بفعل الشراب .
 وحذرني ألا أتعاطى قطرة أخرى على الإطلاق
 والا .. (بسخرية) ماذا أقول ؟ هل لنا فى تناول
 الشراب ؟

سييل : (كأنها صنم) أنت وما يحلو لك ، الشراب فى

الكرار . (وبينما هو يتردد) ما الذى جعلك
تنكب على هذا الشراب ؟ كنت تتكلم بحماس
عن بعض رسومات الكاتدرائية ..

ديون : (بسخرية لاذعة) وافقوا على تصميمات المستر
براون ! وهى تصميماتى فى الحقيقة ! ولست
فى حاجة لأخبرك بهذا . فهو يعطينى اياها واحدا
وراء الآخر فاذا هى صحيحة من الناحية الرياضية
فحسب وعلىّ أنا أن أقوم بمعالجتها بألوان من
الانغراء حتى يرغب الحمقى فى الشراء والبيع ،
والزواج والنوم ، والحب والكرهية ، واللعنة
والصلاة ! وأفعل هذا بمهارة شيطانية من أجل
غبطتهم الكاملة ! ومرة حلمت أننى أرسم ريحا
تهب على البحر وطيران السحاب الخاطف يلتقى
ظلاله على قمم الأشجار ! والآن .. (يضحك)
ألا ان الكبرياء خطيئة .. حتى ولو كانت فى
ذكرى الذى مضى من زمان طوبى للمساكين
بالروح ! (يرتدى متهاككا على كرسيه ويده
ضاغطة على قلبه) .

سييل : (كأنها صنم) اذهب الى بيتك لتنام . زوجتك
سوف تقلق عليك .

ديون : انها تعرف .. ولكنها لن تعترف لنفسها أبدا بأن زوجها دخل بيتك قط (بسخرية) أليست النساء مخلصات .. لغرورهن وأمورهن الأخرى !

سييل : لا تنس أن براون آت الآن .

ديون : انه يعرف أيضا ولكنه لا يعترف . وربما احتاج

الى هنا .. من غير أن يعرف . هل تعرفين ما الذى أثار عاطفته فى البدء حتى استحوذ عليك وحده ؟

لأنه عرف أنك أحببتى وشعر بأنه مخدوع .

وكان يرغب فى ذلك النوع من حب الجسد الذى

ظن أنه حبيبى ! فهو يرى أن ليس لى الحق فى أن

أحب ، ويود لو سرق حبيبى كما يسرق أفكارى ..

يسرور .. وعدل . أوه ، أيها الطيب براون !

سييل : ولكنك تحبه ، أيضا ! ويخيل الى أنكما ،

بطريقة ما ، أخوان . لا بأس ، وتذكر أنه يدفع ،

وسيدفع .. بطريقة أو بأخرى .

ديون : (يرفع رأسه كأنه يهم بازاحة القناع) أنا أعلم ،

مسكين يا بيللى ! رب اغفر لى ما ألحقت به من

أذى !

سييل : (تمد يدها وتأخذ يده) يا للولد المسكين !

ديون : (يعانقها بنشيج .. ثم بقوة مغتصبة) حسنا ، الى الوطن أيها الجندى المسيحى ! فأنا أقصيت بعيدا ! وداعا أيتها الأرض الأم ! (يهيم بالانصراف ، فتبدو وكأنها ستتركه ينصرف) .

سييل : (تتحرك فجأة وتنادى بحزن عميق) ديون ! (ينظر إليها ، وبعد فترة صمت يتراجع الهوينى فتتكلم وكأنها أم تخاطب ابنها الصغير .. ويسمع صوتها غريبا عميقا آتيا من بعيد) يجب ألا تنسى أن تقبلنى قبل أن تذهب يا ديون . (تزيح قناعه) ألم أقل لك أن تخلع قناعك وأنت فى البيت ؟ انظر الىّ يا ديون . الآن .. فقط .. رأيت شيئا . أخشى أن ترحل بعيدا فى سفر طويل ، وأخشى ألا أراك ثانية لزمنا بعيدا . واذن ، فالوداع يا عزيزى . (تقبله برقة فيبدأ فى النشيج فتسلمه قناعه) اليك بالقناع . ولا تأس أو تتوجع ، وتذكر أن الحياة ليست الا لعبا ، وبعد أن تغط فى نوم عميق سألقك فى الغطاء .

ديون : (بصيحة مخنوقة تنم عن قلب كسير) أمى ! (ثم يلبس قناعه بجهد ارادى عنيف .. ويقول

بسخرية) اذهبي الى الشيطان ، أيتها المرأة
العاطفية العجوز ! وسأراك غدا ! (يخرج وهو
يصفر ، ثم يوصد الباب) .

سييل : (كأنها صنم مرة أخرى) أية فائدة في انجاب
الأولاد ؟ وأي نفع في أن نولد لنموت ؟ (تتنهد
خائرة القوى ثم تلتفت وتضع قطعة في البيانو
الذي يبدأ في عزف اللحن العاطفي القديم . وفي
الوقت نفسه يدخل براون بهدوء من الجهة
اليسرى وهو مثال للرجل الأمريكى الناجح في
اقليمه ، الذى بلغ الأربعين من عمره ولا يزال
مملوءا بالشباب ، بهي الطلعة ، حسن الثياب .
ويبدو الآن منزعجا فهو لا يستطيع أن يرى وجه
سييل أو قناعها) .

براون : سييل ! (تنهض ، وتوقف الموسيقى ، وتتناول
قناعها ولكن الوقت لا يسعها بلبسه) ألم يكن
ديون هو هذا الذى رأيته الآن خارجا .. بعد كل
وعودك في ألا ترينه أبدا ! (تستدير كالصنم ،
ممسكة وراءها بالقناع ، يحدق فيها حائرا ..
ويتمتم) أنا .. أنا أستسمحك عذرا .. كنت أظن ..

سييل : (في صوتها الغريب) ذهبت سييل لتضرب في الأرض وتقيم الصلاة .

براون : (بمزيد من التوكيد) ولكن .. أليست هذه ملابسها ؟

سييل : لم تشأ سييل أن يرانى الناس عارية ، فأنا أختها ، وديون جاء ليرانى .

براون : (كمن أخذ بيده) اذن فهذا هو السبب الذى من أجله جاء ديون ، أليس كذلك ؟ (ثم بتنهيدة مشفقة) مسكينة يا مارجريت ! (ثم بتوييح هازىء) يجب عليك ألا تشجعيه ، فهو متزوج وله ثلاثة أبناء كبار .

سييل : وأنت ليس لك أبناء .

براون : (مأخوذاً) لا ، فلست متزوجا .

سييل : أنا وهو كنا صديقين .

براون : (بغمزة هازئة) نعم ، أستطيع أن أتخيل كيف

يستهوئ الحب الأفلطونى من كان على شاكلة ديون فى طهره وبراءته ! لن يجدى خداعك لى بشأن ديون ، فقد كنا صديقين منذ أيام الطفولة ، وأنا أعرفه فى سره وعلايته ، وكنت أقف منه

دائما موقف المدافع مهما كان يفعل .. وعلى هذا
يمكنك أن تكونى صريحة صراحة تامة . وما كان
حديثى الا من أجل مصلحة مارجرىت .. زوجته ..
انه لأمر قاس بالنسبة لها .

سييل : أنت تحب زوجته .

براون : (فاضحا نفسه) ماذا ؟ عم تتكلمين ؟ (ثم يشك
وارتياب) لا تكونى حمقاء ! (لحظة صمت ثم
يقول وكأنه مدفوع بفضول عنيف) واذن
فديون عشيقك ، ايه ؟ هذا شىء ممتع للغاية .
(يدفع بكرسيه قريبا منها) اجلسى ، ودعينا
تتكلم . (تظل واقفة ممسكة ورائها بالقناع)
خبرينى .. فأنا فى حيرة دائمة .. ما الذى يجعل
ديون جذابا عند النساء .. وبخاصة هذا النوع
من النساء ، ان كنت تغفرين لى ؟ فهكذا كان
دائما ولا يزال ، ومع هذا « فأنا » لم أستطع أن
أرى تماما ما يروونه هن فيه . هل هى نظراته ..
أو هى نزواته العنيفة .. أو هى أوضاعه الفنية
والوجدانية .. أو لأنه شديد الجموح .. أو ماذا
يكون على وجه التحديد ؟

سييل : انه مملوء بالحياة !

براون : (سرعان ما يأخذ احدى يديها ويقبلها .. ويقول

متوددا) حسن ، وألا ترين أننى أيضا مملوء

بالحياة ؟ (بشغف) اسمعى ، هل تفكرين فى

التخلى عن ديون .. وتركينى أقوم برعايتك

تحت نظام شبيه بالنظام الذى وضعته مع سييل ؟

أنا أحبك ، وتستطيعين رؤية حبى . لن أضايقك

كثيرا .. فأنا كثير الانشغال .. تستطيعين أن تفعلى

ما تشائين .. وتسيطرين على حياتك الخاصة ..

ما عدا شيئا واحدا هو ألا ترينه . (يتوقف ،

وتسود لحظة صمت ، تنظر الى الأمام بلا حراك

وكأنها لم تسمع شيئا ، فيقول ضارعا) اذن ..

ماذا تقولين ؟ أرجو أن تفعلى !

سييل : (بصوت شديد الضعف) قالت لى سييل أن

أخبرك يا مستر براون بأنها ستعود فى الأسبوع

القادم .

براون : (بتوجع غريب) هل تقصدين أنك لن تفعلى

كما قلت لك ؟ لا تكونى قاسية الى هذا الحد !

فأنا أحبك ! (تسير مبتعدة . فيمسك بها متوسلا)

على الأقل .. سأعطيك أى شىء تطلبينه ! ..
أرجو أن تعدينى بأنك لن ترى ديون أتونى مرة
أخرى !

سييل : (بحزن عميق) هو الذى لن يرانى مرة أخرى ؛
أعدك بهذا ، والوداع !

براون : (يقبل يدها بابتهاج .. ويتأدب) أشكرك !
أشكرك ! أنا فى غاية الامتنان . (ولباقة)
لا أريد أن أسبب لك مزيدا من الازعاج . وأرجو
أن تغفرى لى تطلقى ، واذكرينى لدى سييل حين
تكتبين لها . (ينحنى ويستدير ويخرج من جهة
اليسار) .

ستار

المنظر الثاني

المنظر : غرفة الرسم فى مكتب براون ، فى الوسط منضدة رسم ديون وأمامها كرسى عال بغير مسندين ، وعن يسارها كرسى آخر ، وفى اليمين أريكة . الوقت مساء نفس اليوم ، ومنظر الحائط الخلفى رسمت عليه نوافذ مع منظر معتم لبيوت سوداء أضاءها نور الشارع وبدت عبر الطريق .

ديون جالس على الكرسى خلف المنضدة ، يقرأ بصوت عال لقناعه المطروح أمامه على المنضدة ، يقرأ فى كتاب « تقليد المسيح » لمؤلفه توماس أكيمبيس ، يرى وجهه أعظم لطفًا وأكثر روحانية وأشد شبيهاً بوجوه القديسين والنساك مما كان عليه من قبل .

ديون : (كأنه قسيس يقيم الصلوات على المحتضر)

« سرعان ما تبرح هذه الأرض ، وحينذاك ترى كيف تسوى معك الأمور ؛ آه ، أيها الأبله .. تعلم الآن أن تموت من أجل العالم عسى أن تبدأ فى الحياة مع المسيح ! هيا افعل الآن أيها الحبيب ، افعل الآن كل ما تقدر عليه لأنك لا تعرف متى تموت ولا تعرف ما أنت ملاقيه بعد الموت . لتكن فى حياتك كالحاج ، وكالغريب على ظهر الأرض ، الغريب الذى لا تنتمى إليه أحداث هذا العالم ! لتحفظ على قلبك حرته وترتفع

صاعدا الى الرب لأنه ليست هنا دار البقاء ،
ولأنك لا تدري بأى ساعة سيأتى ابن الانسان »
أمين . (يمسح بيده على القناع كما لو كان
يباركه ، يقفل الكتاب ويضعه ثانية فى جيبه ،
ثم يرفع القناع بكلتا يديه ، ويحدق فيه برفق
وحنان) عليك السلام أيها المعذب المسكين ،
يا كبرياء الانسان الشجاع الرحيم ، ان
ساعة خلاصنا آتية . وغدا قد نرافق
« اياه » فى الفردوس ! (يقبله على شفثيه ،
ويضعه فى مكانه مرة ثانية . يسمع فى المدخل
صوت وقع أقدام ترتقى السلالم ، فيخطف القناع
فى خوف مفاجئ . وبينما يدق الباب ، يلبسه
وينادى بسخرية) أدخلى يا مسز أتونى ، أدخلى !
(تدخل مارجرىت وفى احدى يديها ، التى أخفتها
وراءها عنه ، قناع الوجه الشجاع الذى تلبسه
أمام الناس لتدارى عذابها وخيبة أملها ، والذى
خلعته الآن فبدا وجهها محتفظا بحلاوته وجماله
وان لاحظت عليه التجاعيد التى خلفتها هموم
السنين فغدا حزينا مستلما ولكن فى قليل من
الضجر والشكوى) .

مارجريت : (توبخه وهى خائرة) شكرا لله على أننى
وجدتك ! لماذا لم تعد الى البيت فى اليومين
الماضين ؟ ألا يكفيك أن تعود الى الشراب حتى
تبقى خارج البيت فتسبب لنا من القلق ما يبلغ
حد الهلاك ؟

ديون : (بمرارة) أذناى تعرفان وقع خطاها ، الانسان
أصبح يعرف كل شىء .. دون أن يرى شيئا !

مارجريت : وأخيرا أرسلت الأولاد يبحثون عنك ، كما جئت
بنفسى . (باشتياق خائر) أظنك لم تأكل شيئا
كما هى العادة ، هلا أتيت الى البيت فأشوى لك
قطعة من اللحم ؟

ديون : (مندهشا) هل ما زالت مارجريت قادرة على أن
تحب ديون أتونى ؟ هل يمكن هذا الذى تفعله ؟

مارجريت : (تتكلف ابتسامة خائرة) أظن هذا يا ديون ،
وما كان ينبغى على أن أفعل ، أليس كذلك ؟

ديون : (بنفس اللهجة) وأنا أحب مارجريت ! يا لنا من
أشباح ساكنة مسكونة ! اننا نكاد نتذكر من
الأشياء ما يحتاج نسيانه الى ملايين كثيرة من
السنين ! (يتقدم أمامها واضعا احدى ذراعيه

حول كنفها المقوستين ويقبل أحدهما الآخر) .
مارجريت : (تربت على يده بتأثر) لا ، أنت يقينا لا تستحق
هذه القبلة . عندما أتوقف لأفكر في كل ما كابدهته
طوال السنين التي أقمناها هنا .. ! حقيقة لا أكاد
أصدق أنني كنت أكابدها لو لم يكن ذلك من
أجل الأولاد ! (تفتصب ابتسامة) ومع هذا
فربما كنت أكابدها لأنني كنت دائما تلك البلهاء
الكبيرة المشغوفة بك .

ديون : (ساخرا بعض الشيء) الأولاد ! ثلاثة أبناء
أشداء ! تستطيع مارجريت أن تحتمل لتكون
شهمة كريمة !

مارجريت : إذا لم يجدوك ، سيأتون الى هنا لملاقاتي .

ديون : (يخور على ركبتيه بجانبها فجأة .. كأنه الطائش

المعذب) مارجريت ! مارجريت ! أنا وحيد ! أنا

خائف ! أنا راحل ! على أن أقول الوداع !

مارجريت : (تربت على شعره) أيها الولد المسكين ! أيها

المسكين ديون ! تعال الى البيت لتنام .

ديون : (يقفز تائرا) لا ! فأنا رجل ! رجل وحيد !

ولا أستطيع أن أعود ! لأنني عرفت نفسي !

(ثم بسخرية يائسة) أنظري الىّ باسمز اتونى!
انها الفرصة الأخيرة ! فعدا سأكون قد انتقلت
الى الجحيم الآخر ! شاهدى زوجك .. الأسير
المسيحي الذى ينوح ويستعطف ويتنكر للحياة ،
والذى تجوهلت بسببه فى أب أولادك فكنت نعم
الشرفة النبيلة ! أنظري ! (يزيح القناع من على
وجهه الذى يشع بما يمكنه لها من حب طاهر كبير ،
ومن رقة وحنان) أيتها المرأة .. يا حبي .. الذى
جنيت عليه بقسوتى وكبريائى المريضة .. اغفرى
لى آتامى .. واغفرى لى وحدتى .. اغفرى لى
مرضى .. واعفى عنى ! (يركم ويقبل طرف ثيابها)

مارجريت : (التى كانت تنظر اليه فى فزع ، ترفع قناعها لتتقى
رؤية وجهه) ديون ! كفى ! لا أستطيع احتمال
ذلك ! أنت تشبه الشبح ! أنت ميت ! آه ،
يا الهى ! العون ! العون ! (تسقط على الأريكة
مغشيا عليها ، ينظر اليها .. ثم يأخذ يدها الممسكة
بقناعها وينظر الى هذا الوجه .. وبرقة) .

ديون : (والآن يسمح لى أن أفهمك وأحبك أنت الآخر !
(يقبل القناع أولا .. ثم يقبل وجهها ، ويتمتم)

وأنت يا حبيبتى ! بوركت ، وبورك المتواضعون
 ثلاثا ! (يسمع وقع أقدام ثقيلة تهزول على
 السلالم فيلبس قناعه في عجلة ويندفع الأبناء
 الثلاثة داخل الغرفة . الأكبر في حوالى الرابعة
 عشرة ، والاثنان الآخران أحدهما فى الثالثة عشرة ،
 والآخر فى الثانية عشرة . يبدو أن أصحاء أسوياء
 مستحجين مع شبه كبير بنفس صورة بيلى براون
 فى المنظر الأول من الفصل الأول ، يتوقفون
 قليلا ويتجمدون جميعا فى خط واحد يجيلون
 النظر بين أبيهم والمرأة المطروحة على الأريكة ،
 وبلهجة اتهامية) .

الأكبر : سمعنا شخصا يستغيث ، وكان صوته شبيها
 بصوت أمنا .

ديون : (مدافعا) لا ، كان صوت هذه السيدة .. زوجتى .

الأكبر : ولكن ألم تأت أمنا بعد ؟

ديون : (متجها نحو مارجريت) نعم ، أمكم هنا . (يقف

بينهم ويضع قناع مارجريت فوق وجهها .. ثم

يخطو إلى الورااء) . أغمى عليها ، والأفضل أن

تفيقوها .

- الأولاد** : أمى ! (يهرعون الى جانبها فيركعون ويدعون
رسغيها ، الأكبر ييسط شعرها الى الوراء) .
- ديون** : (ناظرا اليهم) اننى أتركها على الأقل لمن يعنى بها
خير عناية . (يوجه الحديث اليهم مباشرة) قولوا
لأمكم انها ستتلقى مكاملة من بيت مستر براون.
فعلى أن ألقى عليه الوداع . انى راحل . الوداع .
(يقفون ، وينظرون اليه محذقين بعيون امتزجت
فيها الحيرة والريبة والألم) .
- الأكبر** : (بخرج وخجل) باخلاص ، كان يجب عليك
أن ...
- الأوسط** : نعم ؛ باخلاص ، كان يجب عليك ..
- الأصغر** : نعم ؛ باخلاص ، كان ..
- ديون** : (بلهجة ودية) أنا أعرف ، ولكنى لم أستطع ،
والأمر لكم أتم يا من تستطيعون . عليكم أن
تمتلكوا الأرض ميراثا لها ؛ ولا تنسوا ، والآن
أيها الأولاد ، الوداع .
- الأولاد** : (بنفس لهجة الحرج والوعى الذاتى ، يرددون
الواحد بعد الآخر) الوداع .. الوداع ..
الوداع . (يذهب ديون) .

ستار

المنظر الثالث

المنظر : مكتبة بيت وليم براون ٠٠٠ في ليلة ذلك اليوم نفسه .
ستار خلفى طلى بعناية وبدت فيه آثار النعمة والشراء والتعبير عن
ثقافة الطبقة البورجوازية . ورفوف الكتب مملوءة بمجموعات
وما شابه ذلك . فى الوسط منضدة ثقيلة غالية الثمن ، على
يسارها كرسى بمسندين من الجلد ، وعلى اليمين مضجع وهما
وثيران مريحان ، أما مصباح القراءة الموضوع على المنضدة فهو
المصباح الوحيد فى المكتبة .

يجلس براون فى الكرسى على اليسار ، يقرأ فى مجلة معمارية ،
وقد بدت تعبيرات وجهه هادئة وهو يسترسل فى القراءة بجد
ووقار ، ووجهه بشكل عام يوحى بوجه القنصل الرومانى المرسوم
على قطعة العملة القديمة . وهناك فى وجهه مزية متناقرة هى صفة
الايمان الواثق بما ستكفل به أعماله .

يسمع صوت طرق عال مفاجئ على الباب الامامى كما يسمع
رنين الجرس ، يتجهم براون وينصت بينما الخادم يفتح الباب .
يسمع صوت ديون ساخرا .

ديون : قل له انه الشيطان جاء لينهى الصفقة .

براون : (يكتفم ضجره ، وينادى متكلفا السجية الحميدة)

هيا ادخل يا ديون . (يدخل ديون وهو فى حالة
وحشية ، ملابسه غير مهندمة ، وجهه المقنع شبيه
بصورة الموت الحادة المروعة ، وقد صار تهكمه

الساحر حقدا بلغ من قسوته أن خلع عليه مظهر
شيطان حقيقى معذب بتعذيب الآخرين) اجلس .

ديون : (يقف ويعنى) ان روح وليم براون ترقد متعفنة
في مشاها أما جسده فقد خرج هائما !

براون : (يبقى على نفس اللهجة الأخوية العطوفة التي
يحاول أن يحتفظ بها طوال المنظر) أستحلفك
بالله ألا ترفع صوتك هكذا ! فأنا لا يهمنى !
ولكن عندى جيران .

ديون : أحمل لهم الكراهية ! اخش جارك كما تخشى
نفسك ! هذه هى القاعدة الرصاصية التي يسير
عليها العاقلون الآمنون . (ثم يتقدم من المنضدة
بنوع من هدوء الموتى) استمع ! ذات يوم ،
وكان عمري أربع سنوات ، كنت أرسم صورة
على الرمل ، فانسَل طفل من ورائى وأخذ يطل
على ، ولم يكن يستطيع أن يرسم فضربنى بعصا
على رأسى وركل الصورة وضحك عندما أخذت
في البكاء . وكان هو — لا ما فعله — هو الذى
جعلنى أبكى ! لأننى أحببته ووضعت فيه ثقتى ،
وفجأة اتقى فى شخصه اله الخير ليولد انسان

الشر والظغيان ! وكل الناس سمونى الطفل
الباكى ، وهكذا أصبحت صامتا فى الحياة ،
واتخذت لنفسى قناع الولد الشرير بان لكى
أعيش فيه ، وأثور على اله ذلك الولد الآخر ،
وأصون نفسى من .. قسوته .. أما ذلك الولد
الآخر فشعر بعاره فيما بينه وبين نفسه ولكنه لم
يستطع أن يعترف بعاره . ومنذ ذلك اليوم تحول
بالسليقة الى الولد الخير ، والصديق الخير ،
والانسان الخير .. وليم براون ! .

براون : (بوجه علاه الخجل) أتذكر الآن . كان مزاحا
قدرا . (وعليه أثر الاستياء) اجلس . أنت تعرف
أين الشراب ، فاشرب اذا شئت ، وان كان يبدو
لى أنك شربت توا ما فيه الكفاية .

ديون : (يحدق فيه لحظة .. ثم بغرابة) شكرا لبراون
على أنه ذكرنى ، وينبغى علىّ أن أشرب .
(يذهب ويحضر كأسا وزجاجة من الويسكى) .

براون : (يهز كتفيه بروح طيبة) لا بأس ، ولكنك تقيم
مأتمك .

ديون : (يعود فيصب جرعة كبيرة فى الكأس) ومأتم
وليم براون ! فعندما أموت أنا يذهب هو الى

الجحيم ! في صحتك ! (يشرب وينظر اليه نظرة
مغيظة محنقة ، يبدو براون ضجرا على الرغم منه
فتسود لحفلة صمت) .

براون : (بمرح مصطنع) والآن مضى أسبوع وأنت على
هذه الحال .

ديون : (يخرجه بالكلام) كنت أحتفل بقبول «تصميمي»
للكاتدرائية .

براون : (مازحا) لا شك أنك عاوتتني فيه كثيرا .

ديون : (بضحك أجش) ما أكمل براون ! لا يهملك !
سأجعله ينظر في مرآتي فيسأ بعد .. الى أن يفرق
فيها ! (يصب جرعة أخرى كبيرة) .

براون : (يخرجه هو الآخر) على مهلك ، لا أريد أن
تلقى حتفك على يدي .

ديون : ولكني أريد (يشرب) براون سيظل في حاجة
الى .. لأعيد اليه الثقة بأنه على قيد الحياة !
لقد أحبيت وعربدت ، وكسبت وخسرت ،
وغنيت وبكيت ، وكنت عاشقا للحياة ! ولقد
كفيتها حاجتها ، فلئن كانت قد خرجت عن طاعتي
اليوم فما ذلك الا لأنني أصبحت أضعف من أن

أبقيها في عصمتي ؛ فليس يكفي الحياة أن تكون مخلوقها بل عليك أيضا أن تكون خالقها والا سأنتك أن تورث نفسك موارد الهلاك .

براون : (بسجية طيبة) كلام فارغ ، اذهب الى بيتك لتنام بعض الوقت .

ديون : (كأنه لم يسمع .. وبتهكم) ولكن ما أعجب ألا تكون خالقا ولا مخلوقا ! وألا توجد لدى الحياة الا في طي النسيان ! وألا تكون محبوبا من الحياة ! (براون يهتز ضجرا) أن تكون وهما ناجحا ولا زيادة ، اتاجا لبعض قوى الحياة الخادمة .. أن تكون صابرا لا شوك فيه .. أن تكون يطعمه العلاف ليجمع منه طعاما .. أن تكون دون جوان يستعين على الغرام بغدد القروود .. أن تكون حياتك أضحوكة حتى لا يفكر أحد في التفرج عليها !

براون : (مأخوذا .. وبغضب يقول) هذيان !
ديون : تصور مستر براون وأبواه يحملانه الى الأرض وكأنهما يشركانه في استعراض للأطفال تمنح فيه

الجوائز للأسمن .. وهو لا يزال يركض في سباق
الحياة بدينا حتى لا يتعلم المشى ، وحيدا حتى
لا يستطيع الرقص أو الجرى ، ولن يحيا أبدا
حتى يعتق ترابه ويمتزج بتراب الأرض !

براون : (مقطبا) تخريف ! (ثم بحالة طبيعية مصطنعة)
حسنا يا ديون ، فأنا على أى حال راض عن
حياتي .

ديون : (بسرعة وبغل) لا ! براون غير راض عن حياته !
انه يصون نفسه بطبقات الشحم التى يكدها
فوق جسده ، ولكنه فى أعماقه وخباياه يحس
بجرثومة الشك تنخر شغاف قلبه ! وأنا مستمتع
بهذه الجرثومة التى تتلوى فى دمه كأنها علامة
الخطر ، فهى جزء من الحياة الخلاقة التى سرقها
منى براون !

براون : (مغتصبا ابتسامة لاذعة) وهل أسرق الجرائم ؟
ظننت أنك أصبت بها .

ديون : (كأنه لم يسمع) انها جرائمى .. ويمتنعنى أن
أراها تنمو وتتكاثر وتصبح كما وفيرا ينهش فى
براون حتى يأتى عليه !

براون : (لا يستطيع أن يكبح القشعريرة) هل تعلم أنك
تصبح شيطانا حقيقيا عندما تكون ثملا ؟

ديون : (بكآبة) لما حرم بان من ضوء الشمس ودفعها
رهف حسه واشتد وعيه بذاته ونمت فيه الكبرياء
والأخذ بالثأر .. وأصبح أمير الظلام .

براون : (هازلا) أنت يا ديون لا تصلح للقيام بدور بان،
ويبدو لي أنك أشبه بياخوس المسمى بشيطان
الخمير . (يهتز ديون ويفيق من نوبته ثم يحدق
في براون بكراهية مريعة ، تسود فترة صمت ،
يتلوى براون على الرغم منه ويتحلل لهجة
مهذئة) اذهب الى بيتك وكن قدوة حسنة ،
ولتكنف بالحفل الذي أقمناه ابتهاجا بالموافقة
على تصميمنا ، ولكن ..

ديون : (في صوت فولاذي) كنت أنا العقل المفكر ! كنت
أنا التصميم ! وحتى نجاحه أنا الذي وضعت
تصميمه .. كنت أسكر وأسخر منه .. أسخر من
سيرة حياته ! ولست فخورا ! لأننى سئمت !
سئمت منه ومن نفسى ! أرسم وأسكر ! لأتقذ
زوجتى وأولادى ! (يضحك) ها ! وهذه

الكاتدرائية هي تحفتى الرائعة ! وستجعل من براون أشهر معمارى فى هذه الولاية التى هى مدينة الله . لقد أودعت فيها الكثير .. آخر ما تبقى من حياتى ! انها اللعنة الدائمة من أسفل قاعدتها الى أعلى قمتها ! .. ولكنها مخبوءة حتى لا يعرف الحمقى طريقها أبدا . وسيركعون ويعبدون سالينوس اله السخرية الذى يقول لهم ان الخير الخالص لن يولد أبدا ! (يضحك ضحكة المنتصر) ولا بأس ، فاللعنة هى الايمان ، ليس كذلك ؟ والشيطان لا بد أن يؤمن بخلود النفس ! ولكن المستر براون ، براون الكبير ، ليس عنده ايمان ! فهو لم يستطع أن يصمم كاتدرائية دون أن تكون على هيئة « البنك الخرافى الأول » ! انه لا يؤمن الا بخلود البطن ! (يضحك بشراسة .. ثم يغوص فى كرسيه ضاغظا على قلبه بيديه المشبوكتين ، وسرعان ما يصبح ساكنا سكون الموتى ، ويتمتم كأنه حقود قاس يصدر الحكم بالادانة) من الآن فصاعدا ، لن يضع براون تصميما لشيء . وميكرس حياته

لترميم بيت عشيقتي سيبل ويجعله بيتا لزوجتي
مارجريت !

براون : (ينهض واقفا على قدميه ، وقد انقبض وجهه
بآلم غريب) احتملت بما فيه الكفاية ! ولشد
ما جرؤت .. !

ديون : (في صوت من يسبر غوره) لماذا لم تحبه امرأة
قط ؟ ولماذا كان دائما الأخ الأكبر ، والصديق ؟
هل بسبب ثقتهم فيه .. أم احتقارهم له ؟

براون : أنت تكذب !

ديون : لماذا لم يقدر أبدا على أن يحب .. منذ أحب
زوجتي مارجريت ؟ ولماذا لم يتزوج قط ؟ لماذا
حاول أن يسرق سيبيل ، كما حاول فيما مضى أن
يسرق مارجريت ؟ ألم يكن ذلك بدافع الانتقام ..
والحسد ؟

براون : (بعنف) سخف ! رغبت في سيبيل فاشتريتها !
ديون : اشتراها براون من أجلي ! وأحبتني أكثر من أي
حب رآه !

براون : انت تكذب ! (ثم بغضب) وسوف ألقى بها الى
قارعة الطريق !

ديون : الى ! الى رفيقها المخلوق ! لماذا لم يكن لدى براون أولاد .. وهو الذى يحب الأولاد .. وهو الذى يحب « أولادى » .. وهو الذى يحسدنى على « أولادى » ؟

براون : (وهو كسير) لا أستحى من أن أحسدك عليهم !

ديون : وهم أيضا يحبون براون .. كصديق .. كواحد مثلهم .. كما كانت مارجريت تحبه دائما ..

براون : (بانكسار) وكما كنت أحبها !

ديون : كم من ملايين المرات فكر براون فيما لو اختارته بدلا منى فكان ذلك أفضل لها بكثير !

براون : (وهو متألم) أنت تكذب ! (ثم باستفزاز محموم مفاجيء) وهو كذلك ، أنا أحب مارجريت اذا كنت ترغمنى على أن أقولها ! كنت دائما أحبها ، وكنت دائما تعلم ذلك !

ديون : (بثبات مرعب) لا ! فهذا هو المظهر وحده ، وليس الحقيقة ! والحقيقة أن براون يحبنى أنا ! يحبنى لأننى أملك دائما القوة التى يحتاج اليها لكى يحب ، يحبنى لأننى أنا الحب !

براون : (كالمسوس) أيها السكير التافه ! (يقفز على ديون ويمسك بخناقه) .

ديون : (يطل في عينيه ، وبلهجة المتصر) آه ! انه الآن ينظر في المرأة ! انه الآن يرى وجهه ! (يخلى براون سبيله ، ويعود الى كرسيه شاحبا مترنحا) .

براون : (بتوسل) كفى ، لوجه الله ! فأنت مجنون !

ديون : (يخور في كرسيه ، وبضعف متزايد) اني

قضيت . وهو قلبي .. وليس براون . (وبتهكم)

اليك وصيتي ورغبتى الأخيرة ! اني تارك ديون

أتونى الى وليم براون .. اتركه له ليحب ويطيع ..

اتركه له ليصبح « أنا » .. وهنا سوف تحبني

زوجتى مارجريت .. وسوف يحبني أولادى ..

وسوف يكون المستر براون وزوجته وأولادهما

سعداء مدى الحياة ! (يترنح بجمع كيانه ،

ويتطلع اليه بتحد) لا شيء أكثر من هذا .. اللهم

الا نظرة انسان أخيرة .. يتوج بها انتصاره .. لكى

يضحك ! ها .. (يهم فيقف كالمشلول ، ويسقط

على ركبتيه قرب كرسي براون فينزاح قناعه

ويبدو وجهه وكأنه الشهيد المسيحى ، أشرف على

الموت) سامحنى يا ييلى ؛ ادفنى ، ووارنى التراب.
وانسى من أجل أن تعيش سعيدا ! عسى أن
تحبك زوجتى مارجرىت ! وعسى أن تصمم
« معبد الروح الانسانية » ؛ طوبى للمتواضعين
وطوبى للمساكين بالروح ! (يقبل قدمى براون
ثم يزداد صوته ضعفا وطفولة) . فيم كانت
الصلاة ، يا ييلى ؟ كنت أعطى فى النوم ..

براون : (فى لهجة من غشيته غيبوبة) « أبانا الذى فى
السموات » .

ديون : (باغفاءة) « أبانا » .. (يموت ، وتسود فترة
صمت ويبقى براون فى غيبوبة فترة من الوقت ..
ثم يجاهد نفسه ويضع يده على صدر ديون) .

براون : (بخمول وبلادة) مات .. آخر الأمر . (يقول
هذا بطريقة آلية لا وعى فيها ولا ادراك غير أن
الكلمتين الأخيرتين توقظانه .. وبذهول) آخر
الأمر ! (ثم بلهجة المنتصر) آخر الأمر ! (يحدق
بازدراء فى وجه ديون الحقيقى) اذن فهذا هو
المسكين الحائر الذى كتته فى الحقيقة ! ولا عجب
أن كنت مخبوءا ! وكنت دائما فى خوف منك ..

نعم ، ولسوف أعترف بها الآن ، فى خوف منك !
 بخ ! (يرفع القناع من على الأرض) لا ، لم
 أكن أخاف منك ! كنت أخاف من هذا ! وقل
 ما تشاء ، فقد كنت قويا عندما كان القناع شريرا !
 وهذا هو ما أحبته مارجریت ، لا أنت ! لا أنت !
 هذا الرجل ! هذا الرجل الذى أعطانى نفسه !
 (يقفز على قدميه وقد طرأت على رأسه فكرة)
 يا الهى ! (يبدأ فى لبس القناع ببطء ، ويسمع
 دقا على باب الشارع ، فيتتابه شعور بالذنب
 فيضع القناع على المنضدة ، ثم يسرع ثانية
 بالتقاطه ، ويأخذ الجثة الهامدة ويحملها الى
 الجهة اليسرى ، وسرعان ما يعود ويتجه الى
 الباب الأمامى بينما يبدأ الدق مرة ثانية ..
 بخشونة) . أهلا ! من هناك ؟

مارجریت : أنا مارجریت يا بيللى ، انى أبحث عن ديون .
براون : (بارتياب) أوه ، وهو كذلك .. (يفتح الباب)
 أدخلنى ، أهلا يا مارجریت . أهلا بالأولاد ! انه
 هنا . انه نائم . وأنا .. أنا أيضا كنت على وشك
 النعاس .

١ تدخل مارجریت مرتدية قناعها ومعها
أبناؤها الثلاثة) .

مارجریت : (ترى الزجاجاة فتغضب الضحكة) هل كان
يقيم الاحتفال ؟

براون : (الآن بلباقة غريبة) لا . لم يكن هو ، وانما كنت
أنا . فالليلة أقسم أنه سيمتنع عن الشراب .. الى
الأبد .. من أجلك .. ومن أجل الصغار !

مارجریت : (بفرحة ذاهلة) ديون قاله هذا ؟ (وسرعان
ما تقول مدافعة) ولكنه بالطبع لم يكن يفرط في
الشراب . أين هو ؟

براون : فوق . وسوف أوقظه . شعر بالتعب ، فخلع
ملابسه ليأخذ حماما قبل أن يرقد . انتظري هنا
قليلا . (تجلس في الكرسي حيث كان يجلس
ديون وتنظر محدقة الى الأمام . يتجمع الأبناء
حولها كأنهم يستعدون لأن تلتقط لهم صورة
عائلية ، يخرج براون مهرولا من جهة اليسار) .

مارجریت : تأخر الوقت يا أولادى حتى أبقىكم ساهرين ،
ألا تشعرون بالنعاس ؟

الأولاد : لا ، يا أمى .

مارجریت : (فخورة) يسنرني أن يكون لي ثلاثة أولاد أشداء
يسهرون على حمايتي .

الأكبر : (بزهو) نقتل أي واحد يمسهك ، ألا نستطيع ؟

الأوسط : تراهنني ! أننا نجعله يندم على ما فعل !

الأصغر : تراهن !

مارجریت : أتمم أولاد أمكم الشجعان ! (تضحك بهيام ..

ثم بفضول) هل تحبون مستر براون ؟

الأكبر : شيء أكيد ! فهو صديق صحيح .

الأوسط : ليس فيه عيب !

الأصغر : شيء أكيد !

مارجریت : (مخاطبة نفسها بعض الشيء) أبوكم يقول انه

يسرق أفكاره .

الأكبر : (بابتسامة غريبة) أراهن أن أبي قال هذا عندما

كان .. مجرد كلام .

الأوسط : مستر براون لا يسرق ، ولماذا يسرق ؟

الأصغر : أنا أقول لا ! فهو غني جدا .

مارجریت : هل تحبون أبابكم ؟

الأكبر : (بثاقل .. وارتباك) لماذا .. طبعاً ..

الأوسط : (مثل أخيه) شيء أكيد !

الاصفر : أحبه بالتأكيد .

مارجريت : (بتهيدة) أرى من الأحسن أن تذهبوا الآن ..
قبل .. قبل أن يأتى أبوكم .. سيكون مريضا
جدا .. ومتعب الأعصاب يريد أن يكون فى
هدوء . ولذلك اذهبوا بسرعة !

الاولاد : وهو كذلك . (يخرجون فى طابور ويقفلون الباب
الأمامى بينما يظهر براون من ناحية اليسار مرتديا
ملابس ديون وواضعا قناعه) .

مارجريت : (تخلع قناعها ، وبأشراح) ديون ! (يحدق كل
منهما فى الآخر باندهاش ، تذهب اليه وتطوقه
باحدى ذراعيها) مسكين يا عزيزى ، هل تشعر
بالتعب ؟ (يحنى رأسه علامة على الموافقة)
ولكنك تبدو .. (وهى تضغط ذراعيه) .. لماذا ،
وأنت تشعر فعلا بأنك أقوى وأحسن من قبل !
هل صحيح ما قاله لى ييلى .. عن قسمك
بالامتناع عن الشراب الى الأبد ؟ (يحنى رأسه
موافقا فتصيح بشدة) أوه ، لو أنك فعلت مرة ..
واستعدت صحتك .. كم نستطيع أن نعيش
سعداء ! أعط الأم قبلة . (يفيان فى قبلة ،

وتسرى رعشة في كل منهما فتقطع القبلة وهي
تضحك برغبة مثيرة (لماذا يا ديون ؟ ألا تشعر
بالخجل ؟ لم تقبلني بهذا الشكل منذ وقت طويل !
براون : (يقلد صوت ديون ويتستر في القناع) كنت
أرغب في هذا ، يامارجريت !

مارجريت : (الآن بدلال واتشاء) هل كنت تخشى أن
أزدريك ؟ لماذا تغيرت يا ديون ، ان شيئاً ما قد
حدث ، شيئاً شبيها بالمعجزة ! حتى صوتك قد
تغير ! لا شك أنه يبدو أكثر شباباً ، هل تعرف
هذا الشيء ؟ (ثم بجزع وتلهف) ولكن لا بد
أنك تعبان ، فهيا نذهب الى البيت . (وبحركة
تلقائية تفتح ذراعيها على سعتهما ، وتلقى بقناعها
بعيدا عنها كأنها لن تحتاج اليه أبدا) أوه ، بدأت
أشعر أنني في غاية السعادة .. اني غاية السعادة
يا ديون !

براون : (باختناق) هيا بنا نذهب الى البيت . (تطوقه
بذراعها ، ويسيران تجاه الباب) .

ستار

الفصل الثالث

المنظر الأول

المنظر : غرفة الرسم ومكتب براون الخاص يشاهدان معا ،
الأولى تقع في جهة اليسار ، والآخرة على اليمين من حائط قاطعة في
الوسط . ترتيب الأثاث في كل غرفة هو نفس الترتيب الذي
كان عليه في المناظر السابقة . في العاشرة صباحا بعد مضي
حوالى شهر على المنظر السابق . هذا والستار الخلفى لكل من
الغرفتين عبارة عن حائط بسيط ثبتت فيه بعض التصميمات ،
وعلقت عليه صور مطبوعة لونها أزرق .

وهناك رسامان ، واحد في منتصف العمر ، والآخرة في طور
الشباب ، وهما منحنيا الظهر ، جالسان على كرسيين بغير مساند
وراء ما كان من قبل منضدة لديون . يقومان بنسخ الخرائط ،
وبالحديث معا أثناء العمل .

الرسام الأكبر: عاد وليم براون الى التأخير .

الرسام الأصغر: أنا في عجب لما أصابه في الشهر الماضى (فترة
صمت ، يعملان صامتين) .

الرسام الأكبر: نعم ، منذ أن فصل ديون من عمله ..

الرسام الأصغر: غريب أن يفصله فجأة وبمثل هذه السرعة (فترة
صمت ، وهما يعملان) .

الرسام الأكبر: لم أر ديون في المدينة منذ ذلك الوقت ، هل رأيته أنت ؟

الرسام الأصغر: لا ، لم أره منذ أن قال براون أنه فصله من العمل ، وأظن أنه يفرق حزنه في الشراب !

الرسام الأكبر: سمعت أن أحدا رآه في البيت ، وأنه كان بهي الطلعة غير سكران . (لحظة صمت . يعملان) .

الرسام الأصغر: ماذا دهى براون ؟ يقولون أنه طرد جميع خدمه القدامى في ذلك اليوم ، وأنه يستعمل بيته لينام فيه فقط .

الرسام الأكبر: (بتهمك) المزاج الفنى ، ولعله الاسم الحقيقى للزهو والخيلاء ! (صوت وقع أقدام يأتى من القاعة ، وبتحذير) هس ! (ينكفئان كل على منضدته ، تدخل مارجرىت . وهى الآن ليست فى حاجة الى لبس القناع .. فقد استعاد وجهها روح الثقة بالنفس التى كانت لها أيام الشباب ، وأشرقت عيناها بالسعادة) .

مارجرىت : (بحماس) صباح الخير ! يا له من يوم جميل !

الرسامان : (بقتور) صباح الخير يا مسز أتنونى .

مارجرىت : (نازلة فيما حولها) لقد غيرتم أماكنكم هنا ،

أليس كذلك؟ أين ديون؟ (يحدقان فيها) نسيت
أن أخبره في الصباح بأمر هام ، والتليفون
معطل ، فلو تقولان له أنني هنا .. (لا يتحركان،
تسود فترة صمت ، فتقول مارجريت بتوتر)
أوه ، أعلم أن المستر براون أعطى أوامر مشددة
بالأ يزعج ديون ، ولكن لا شك .. (بحدة) أين
زوجي ، من فضلكما ؟

الرسام الأكبر: لا نعرف .

مارجريت : ألا تعرفان ؟

الرسام الأصغر: لم نره .

مارجريت : عجبا ، فقد غادر البيت في الثامنة والنصف !

الرسام الأكبر: ليأتى الى هنا ؟

الرسام الأصغر: هذا الصباح ؟

مارجريت : (مستثارة) عجبا ، بالطبع ليأتى الى هنا .. كما

يفعل كل يوم ! (يحملقان فيها ، وتسود فترة

صمت) .

الرسام الأكبر: (متلصبا) لم نره .

مارجريت : (بشراسة) أين المستر براون ؟

الرسام الأصغر: (متمللا ، وصوت وقع أقدام يأتى من الخارج)

سيأتى الآن . (يدخل براون ، وهو الآن يرتدى قناعا مشابها تماما لما كان عليه وجهه في المنظر السابق .. وجه الرجل الواصل من نجاحه . وعندما يرى مارجریت يتراجع خائفا مذعورا) .
براون : (سرعان ما يسيطر على نفسه ، وبترفق) أهلا ، يا مارجریت ! هذه مفاجأة سارة ! (يسد يده مصافحا) .

مارجریت : (تأخذها بصعوبة .. وبتحفظ) صباح الخير .
براون : (ملتفتا بسرعة الى الرسامين) أرجو أن تكونا قد أوضحتما لمسز أتتوني مدى انشغال ديون ..
مارجریت : (مقاطعة اياه ، وبغلظة) مؤكداً أنني لا أستطيع أن أفهم ..

براون : (بسرعة) سأوضح لك الأمر ، ادخلي هنا ، وهدئي نفسك . (يفتح الباب ، ويلوح لها بالدخول الى مكتبه الخاص) .

الرسام الأكبر: لا بد أن ديون يدبر لها خدعة .
الرسام الأصغر: يتظاهر بأنه لا يزال هنا .. وبراون يساعده ..
الرسام الأكبر: ولكن لماذا يفعل براون ، بعد أن .. ؟
الرسام الأصغر: نعم ، فأنا أظن .. سأتحري . (يعملان) .

براون : اجلسى يا مارجريت . (تجلس على الكرسى متوفزة ، ويجلس هو وراء المكتب) .

مارجريت : (برود) أريد شيئا من التوضيح ..

براون : (ملالفا) والآن ، لا تغضبى يا مارجريت ! ديون مجد فى عمل تصميمه لمبنى الحكومة الجديد ، ولا أريد أن يزعجه أحد ، حتى ولو كان أنت ! ولهذا كونى رواحه ! وتذكرى أن هذا لمصلحته الشخصية ! كما أننى طلبت منه أن يوضح لك الأمر .

مارجريت : (راضخة) قال لى أنك طلبت منه الا نأتى الى هنا .. أنا والأولاد ؛ ولكننا لم نكن نأتى الا فى النادر .

براون : ولكنه الواجب عليكم ! (ثم بثقة وصداقة) هذا من أجله يا مارجريت . أنا أعرف ديون فهو قادر على العمل حين لا يكون هناك ما يثغله ، وهو ليس بالانسان العادى ، وأنت تقدرين هذا ؛ فضلا عن أن هذا التصميم يعنى مستقبله كله ! ويجب أن يحصل من ورائه على الثقة الكاملة ، وما أن يقبل هذا التصميم حتى أجعله شريكا لى .

تم الاتفاق على كل شيء ، وبعد ذلك سأقوم
بأجازة طويلة .. سأذهب الى أوروبا لمدة سنتين ..
وأترك كل شيء هنا بين يدي ديون ! ألم يخبرك
بهذا كله ؟

مارجريت : (وقد تهلت الآن) نعم .. ولكنى لا أكاد أصدق..

(بفخر) أنا واثقة أنه يقدر على عمل هذا
التصميم ، قفى الأيام الأخيرة أصبح انسانا
جديدا .. انسانا كله طموح ونشاط ! وهذا
ما جعلنى فى غاية السعادة ! (تتوقف فى ارتباك).

براون : (وقد اهتز فى أعماقه ، يأخذ يدها بطريقة

لا شعورية) وجعلنى سعيدا ، أنا أيضا !

مارجريت : (مرتبكة ، وبضحكة لاهية) لماذا ، يا بيلي براون!

منذ لحظة ظننت أنك ديون فصوتك كان كثير
الشبه .. !

براون : (يئس مفاجيء) مارجريت ، كان يجب علىّ أن

أخبرك ! فأنا لا أستطيع أن أستمر فى ذلك ! كان

يجب علىّ أن أعترف .. ! هناك شيء ما .. !

مارجريت : (مذعورة) لا .. ليس عن ديون ؟

براون : (بشراسة) ليحترق ديون ! وليحترق بيلي براون!

(ينتزع قناعه فيكشف عن وجه أسيان بدا كسيفا
خائرا ، ذلك لأن وجهه قد عذبه وأضناه شيطان
قناع ديون) . فكرى فى أنا ! فأنا أحبك
يا مارجرىت ! اهجرىه ! فأنا أحبتك دائما ! تعالى
معى فرحل ! سأبيع ما أملكه هنا ! ونسافر الى
الخارج لننعم بالسعادة !

مارجرىت : (كالمسوسة) يبلى براون ، هل تعى ما تقوله ؟
(بقشعريرة) هل أنت مجنون ؟ ان وجهك مرعب .

أنت مريض ! هل أستدعى طبيبا بالتليفون ؟
براون : (يستدير مبتعدا ببطء ، ويلبس قناعه .. وبيلادة)
لا ، كنت على الحافة .. حافة الانهيار العصبى ..
لفترة من الوقت . وتصيبنى نوبات .. ولكنى
أحسن الآن . (يلتفت اليها) سامحيني ! وانسى
ما قلته ! ولكن ، لا تأتى الى هنا ثانية من أجلنا
جميعا .

مارجرىت : (ببرود) بعد هذا .. أوكد لك أنك .. ! (ثم
تنظر اليه برية أليمة) لماذا يا يبلى .. أنا لا أكاد
أصدق .. بعد كل هذه السنين !
براون : لن يحدث هذا مرة ثانية ، الوداع .

مارجريت : الوداع . (ثم تفتصب ابتسامة ، راغبة في الانتقال الى موضوع سار) لا تقضى على ديون بالعمل ! لم يعد يأتى الى البيت للعشاء . (تخرج مارة بالرسام في الجهة اليمنى ، وتمشى حتى المؤخرة ؛ يجلس براون الى مكتبه وينتزع القناع مرة ثانية ويحديق فيه بتفكه مرير ساخر) .

براون : أنت ميت يا وليم براون ، ميت ولا أمل لك في بعث أو نشور ! انه ديون الذى دفتته في حديقتك هو الذى قتلك ، ولم تكن أنت الذى قتلته ! انه زوج مارجريت الذى .. ! (يضحك بشراسة) جنة بالنيابة ! حب بشخصية متحللة ! يا رب ! (يقول ذلك في فبرات المصلى .. ثم في فبرات الشرس الجسور) مهما يكن من شئ « فهى » جنة ! وأنا أحب ! (وبينما هو يتكلم ، يدخل غرفة الرسم رجل بدين الجسم ، حسن الهندام ، له شأنه وأهميته ، يحمل في يده خريطة مطوية ؛ ينحنى مجاملا ويتجه مباشرة الى باب غرفة براون فيدق عليه بسرعة وحدة ، ودون أن ينتظر

الجواب يدير الأكرة ويكون براون بالكاد قد
أدار رأسه ولبس قناعه) .

الرجل : (برشاقة) أوه ، صباح الخير ! دخلت مباشرة ،
فأرجو ألا أكون قد أزعجتك .. ؟

براون : (والآن بدمائة المعماري الناجح) لا يا سيدي ،
على الاطلاق . كيف حالك ؟ (يتصافحان)
اجلس ، وتفضل سيجارا . والآن ، ما الذي
أستطيع أن أعمله لك هذا الصباح ؟

الرجل : (يفرد الخريطة) انه رسمك . أنا وزوجتي أعدنا
النظر فيه .. فأعجبنا ولم يعجبنا ! فعندما يصرّف
الانسان نصف مليون على مشروع ، فهو يريد
أن يكون كل شيء فيه على ما يرام ، ايه ؟ (براون
يوميء موافقا) انه بارد جدا ، هزيل جدا ،
ولا تؤاخذني ، فهو شديد الشبه بضريح الموتى
منه الى بيت السكنى ! ألا تستطيع أن تبعث فيه
الحياة بأن تضيف اليه بعض الزخارف فتشيع فيه
الدفء وتضفي عليه الخيال .. أنت تعرف ماذا
أقصد . (ينظر اليه بقليل من الارتياب) قال لي
الناس انه كان عندك مساعد اسمه أتتوني ، وأنه

كان ماهرا في عمل هذه التفصيلات ولكنك
فصلته من العمل ..

براون : (بتلطف) اشاعات ! فهو لا يزال معي ؛ ولأسباب
تخصه ، لا يريد أن يعرف أحد . نعم ، قمت
بتمرينه وهو في غاية البراعة .. سأحيل عليه هذا
الرسم فورا وأرشده الى تنفيذ رغباتك ..

ستاد

المنظر الثاني

المنظر : هو نفسه الذي كان عليه في المنظر الثالث من الفصل الثاني ٠٠٠ مكتبة بيت براون في حوالى الثامنة من الليلة نفسها . ويمكن سماع صوت براون وهو يتلمس طريقه فى الظلام ٠ ويضىء مصباح القراءة الموضوع أمامه على المنضدة ، حيث يرى تحتها مباشرة قناع ديون قائما وعيناه الفارغتان شاخصتان الى الأمام ٠

ينتزع براون قناعه ويطره على المنضدة أمام قناع ديون ، يلقي بنسفه فى الكرسي ويشخص ببصره دون حراك فى عيني قناع ديون ٠ وأخيرا يبدأ فى الحديث اليه بلهجة مريرة ساخرة ٠

براون : اسمع ! كان سبيل الفرار ضيقا اليوم .. أماما ! ولم يعد يمكننا تجنب الفضيحة ، ولزاما علينا أن نبدأ العمل فى تنفيذ خطتنا ! وقبل الآن فرغنا من اعداد وصية وليم براون .. التى ترك لك فيها أمواله وأعماله . والآن ينبغى علينا أن نسارع بالسفر الى أوروبا .. حيث نعتاله هناك ! (بشيء من الاحراج) أما أنت .. أقصد أنا الذى فى داخلك .. فسأعيش أنا ومارجريت حياة ترفرف عليها السعادة الى الأبد . (بمزيد من الاحراج)

وسوف أنجبها الأولاد ! (يبدو أنه يسمع صوتا
هازئا يأتي من القناع معارضا إياه ، فينحني
نحوه) ماذا ؟ (ثم بازرداء) وعلى أى حال ،
فهذا لا يهم ! أولادك يحبوننى الآن أكثر مما
أحبوك من قبل ! وما رجيت تحبني أكثر ! أتظن
أنك ظفرت .. لأنى ذهبت أتواري فى داخلك لكى
أعيش من خلالك ؟ كلا يا صديقى ، فهذا لم يكن !
لا ولن يكون أبدا ! انتظر وسترى ما رجيت
بمرور الأيام وهى تحب ما يكمن .. فى داخلى !
وسأعدها لمعرفتى شيئا فشيئا ، ثم فى آخر الأمر
أكشف لها عن نفسى وأعترف لها بأننى سرقت
مكانك ، ولكن من أجل حبى لها . وسوف تفهم
وتعفو عنى وتقع فى حبى ! أما أنت فستكون فى
زوايا النسيان ! ها ! (ينحني ثانية على القناع
كما لو كان ينصت له .. ويقول وهو متألم) ماذا
أقول ؟ انها لن تصدق أبدا ؟ ولن ترى أبدا ؟
ولن تفهم أبدا ؟ أنت تكذب ، أيها الشيطان !
(يمد يديه وكأنه يحاول أن يأخذ بخناق القناع ،
ثم يتراجع مرتجفا وقد علتة قشعريرة من اليأس

الذى لا أمل فيه) رحماك يا الهى ! خذ يدي
الى الايمان ! طوبى للراحمين ! ولتدركنى رحمتك
يا رب ! (ينتظر ، ويرفع وجهه الى أعلى ،
وبضراعة) ألم يئن الأوان ؟ (وبأس) أبدا ؟
(فترة صمت ، ثم بحركة مباغتة من الخوف
الرهيب يمد يده الى قناع ديون وكأنه الدواء
وجده بعد نوبة من الخدر .. وما ان يمسك به
حتى يبدو كأنه اكتسب القوة وأصبح في
مقدوره أن يتكلف الضحك الحزين) أنا الآن
أتعاطى قوتك يا ديون .. قوتك على أن تحب في
هذه الدنيا ، وعلى أن تموت وتنام وتصير ترابا
مثمرا ، كما أنت الآن في حديقتى .. ففى ضعفك
قوة أزهارى ، وفى فشلك كفنان ما أضفى على
وريقاتها الحياة ! (ثم بشجاعة) تعال معى
يا مستر أنتونى طالما أن عريس مارجريت يرتدى
ملابسك ! فأنا أحتاج الى الشيطان عندما أكون
فى غسق الظلام ! (يخرج من جهة اليسار ولكن
يمكن سماعه وهو يتكلم) بدأت ملابسك
تلائمنى أكثر من ملابسى ! فسارع ، يا أخى !

حان وقت ذهابنا الى البيت ، وزوجتنا في انتظارنا!
(يعود فيظهر وقد غير معطفه وسرواله) تعال
معى وقل لها مرة ثانية اننى أحبها ! تعال واسمعا
تقول لى كيف أنها تحبك ! (وفجأة يبدو وكأنه
لا يستطيع أن يقاوم رغبته فى تقبيل القناع)
أنا أحبك لأنها تحبك ! وقبلاتى على شفتيك من
أجلها هى ! (يضع القناع على وجهه ويتف لحظة،
فيبدو وكأنه ازداد طولاً وكبرياء .. ثم بضحكة
الجبسور الواثق من نفسه) الى الخارج من
الباب الخلفى ! يجب ألا أنسى أننى مجرم يائس ،
تطارده نفسه ويطارده الله ! (يخرج من جهة
اليمنى ، وهو يضحك ضحكة راضية لاهية) .

ستار

المنظر الثالث

المنظر : هو نفسه كما فى المنظر الاول من الفصل الاول ..
غرفة الجلوس فى بيت مارجريت بعد حوالى نصف ساعة من المنظر
السابق . ترى مارجريت جالسة على الأريكة تنتظر بقلق وملال
وترقب المحب الولهان وقد ارتدت ملابسها بعناية وزينتها بمهارة
تجذب العين . تبدو فى شباب وسعادة ، تحاول أن تقرأ فى كتاب
فتسمع صوت الباب الأمامى يفتح ويوصد فتنهض وتجرى مسرعة
لتلقى بذراعيها حول براون وهو يدخل من اليمين فى المؤخرة .
تقبله قبلة عاطفية .

مارجريت : (بينما يتقهقر بنوع من الاحساس بالاثم ..
ضاحكة) لماذا ، أيها الشئ الكريه القديم ، أنت!
اعتقدت اعتقادا حقيقيا أنك كنت تتحاشى أن
تقبلنى ! حسن ، ولهذا وحده لن أحاول أبدا ..
براون : (يقبلها مرة بعد مرة بعاطفة قوية ملتبهة)
مارجريت !

مارجريت : قل لى بيجى من جديد ، كما اعتدت أن تقول
عندما كنت تحبنى . (بنعومة) هل تذكر يوم
الحفل المدرسى الراقص .. يوم كنا أنا وأنت على
رصيف الميناء فى ضوء القمر ؟

براون : (بتوجع) لا . (يسحب ذراعيه من حولها) .
مارجريت : (وهي لا تزال متعلقة به .. تضحك) حسن ،
فأنا أحب ذلك ! وأنت أيها اللب العجوز ! لماذا
تقول لا ؟

براون : (بحزن) كان ذلك منذ وقت طويل .
مارجريت : (بشيء من الاكتئاب) هل تقصد أنك لا تريد
أن تذكر بأننا أصبحنا عجوزين ؟

براون : نعم . (يقبلها برقة) أنا متعب ، دعينا نجلس .
(يجلسان على الأريكة ، ذراعه حولها ورأسها
على كتفه) .

مارجريت : (بتنهيدة فيها سعادة) لا يهمني أن تتذكر .. فأنا
سعيدة الآن . ولا يؤلمني ذلك الا عندما أكون
تعيسة .. ولشد ما أنا سعيدة في الأيام الأخيرة ،
يا عزيزي .. ولشد ما أنا شاكرة لك ! (يهتز
قلقا وتمضى في حديثها مرحة) كل شيء تغير !
كنت أرضخ لكل .. عن طيب خاطر وعن يأس
وحزن ، ومرة واحدة عدت الى ما كنت عليه
وأصبح كل شيء كما كان في بدء حياتنا
الزوجية .. بل وأفضل بكثير ، لأنني حينذاك لم

أكن واثقة منك أبدا . كنت دائما غريب الأطوار ،
منطويا على نفسك ، مبتعدا عن الناس ، حتى
بدا لي أنني لم أكن أثيرك أبدا . أما الآن فأحس
أنك أصبحت انسانا سويا .. مثلي .. وأنا في غاية
السعادة ، يا عزيزي ! (تقبله) .

براون : (بصوت مرتعش) اذن ، فأنا جعلتك سعيدة ..
وأسعد من قبل .. ولا يهم ما يحدث ؟ (توميء
برأسها موافقة) اذن .. فهذا يبرر كل شيء !
(يغتصب ضحكة) .

مارجريت : بالطبع يبرر كل شيء ! وكنت دائما أعرف ذلك .
أما أنت فلم تكن .. أو لم تستطع .. وأنا لم أقدر
على مساعدتك أبدا .. مع أنني كنت أعرف طوال
الوقت أنك كنت في وحدة شديدة ! وكنت
أسمعك دائما تقول لي أنك ضائع ، ولكنني لم
أستطع أن أجد الطريق اليك لأنني كنت ضائعة
أنا الأخرى ! يا له من مسلك رهيب تشعر به
زوجة ! (تضحك .. وبفرح) ولكنك هنا الآن !
أنت لي ! أنت حبيبي الذي افتقدته طويلا ،
وزوجي ، وولدي الكبير ، أيضا !

براون : (وعليه أثر الغيرة) وأين أولادك الكبار الآخرون
في هذه الليلة ؟

مارجريت : خرجوا للرقص ، وكل منهم معه فتاة ، لكى
تكون على علم .

براون : (ساخرا) ألا تشعرين بالغيرة ؟

مارجريت : (متلهة) بالطبع ! وبشكل مريع ! ولكننى لبقية،

لا أجعلهم يرون . (مغيرة موضوع الحديث)

صدقنى أنهم لاحظوا ما طرأ عليك من تغير !

وكان الأكبر يقول لى اليوم « ما أعظم ألا يكون

أبونا عصيبا بعد الآن . انه انسان مرح عندما

يحاول أن يكون كذلك ! » وقال الآخران

بحماس شديد : « هذا صحيح ! » (تضحك) .

براون : (بانكسار) أنا .. أنا مسرور .

مارجريت : ديون ! أنت تبكى !

براون : (يصدق الاسم ، فينهض محتدا) كلام فارغ !

هل عرفت ديون بكى فى حياته من أجل انسان ؟

مارجريت : (بحزن) لم تقدر .. حينذاك . كنت شديد

الانطواء ، ولم يكن عندك من تبكى عليه .

براون : (يذهب ويأخذ رسما ملفوفا من درج المنضدة ..

- وبتجههم) على أن أُنجز بعض الأعمال .
- مارجريت :** (بخيبة أمل) ماذا ، هل سألك ييلى براون أن تشتغل كذلك في البيت ؟
- براون :** (متهمكا) من أجل مصلحة ديون ، كما تعرفين.. ومصحتك .
- مارجريت :** (منتفحة بعبارته .. وبانصراف) وهو كذلك ! فأنا لا أريد أن أكون أنانية . ومما يجعلني فخورة بك أن أجذك طموحا الى هذا الحد . دعني أساعدك . (تحضر له لوحة الرسم التي يضعها على المنضدة ويدبس عليها رسمه . تجلس على الأريكة ، وتتناول كتابها) .
- براون :** (وكأنها كلمة عابرة) سمعت أنك كنت هناك اليوم لرؤيتي ؟
- مارجريت :** نعم ، وسمع ييلى بزيارتى ! وكنت نائرة جدا حتى أفنعي أن هذا كله من أجل المصلحة . متى يأخذك شريكاه ؟
- براون :** في القريب العاجل .
- مارجريت :** وهل صحيح أنه سيعطيك مسؤولية كاملة عندما يسافر الى الخارج ؟

براون : نعم .

مارجريت : (بلهجة عملية) لو أستطيع أن أجعله يتقيد

بكلامه . فليست العبرة بالوعود ، ولكنها ..

(مترددة) أنا لا أثق فيه .

براون : (بنظرة ثاقبة ، وبحدة) ما الذى يجعلك تقولين

هذا ؟

مارجريت : أوه ، شىء حدث اليوم .

براون : ما هو ؟

مارجريت : لا أقصد أن ألومه ، ولكن .. لكى أكون صريحة ،

أظن أن الاله الكبير براون كما تسميه أصبح

غريب الأطوار ، وجاء الوقت الذى يحتاج فيه

الى أجازة ، ألا ترى ذلك ؟

براون : (فى صوته تهديج .. ولكن بحذر) ولكن لماذا ؟

ما الذى فعله ؟

مارجريت : (مترددة) اذن .. فهو فى الواقع أمر سخيـف

جدا .. فجأة أصبح غريبا بشكل فظيع . وجهه

أخافنى ، كان شبيها بوجه الجثة . وأخذ يهذى

بكلام فارغ يقول أنه أحبنى دائما . واستمر فى

هذا الكلام وكأنه أحقق صحيح . (تنظر الى

براون الذي يحدق فيها ، فتشعر بعدم الارتياح)
ما كان يجدر بي اذن أن أقول لك هذا ، فهو يكاد
ألا يكون ملوما . ثم عاد الى رشده وأصبح على
ما يرام والتمس مني العذر وبدا في حزن أسيف ،
فأسفت له . (ثم تقول برعشة) ولكن بصراحة
يا ديون ، كان أمرا يدعو الى التقزز والاشمئزاز
حتى تعاف سماعه ! (وتقول باشفاق لا يخلو من
ازدراء) مسكين يا بيلى !

براون : (بمظهر الساخر الأليم) مسكين يا بيلى ! مسكين
أيها الجدى بيلى ! (وبسخريه محمومة) سأقتله
من أجلك ! وسأقدم لك قلبه على طعام الافطار !
مارجريت : (تقفز مذعورة) ديون !

براون : (يلوح بمطواه تلويحا بشعا) قلت لك سأغتال
هذا الاله اللعين الذي يثير الاشمئزاز ، الاله
الكبير براون الذي يقف كالعجل السمين في
طريق صحتنا و ثروتنا وسعادتنا !

مارجريت : (مرتبكة ، لا تعرف مدى ما يدعيه ، تضع أحد
ذراعيها حوله) لا تفعل يا عزيزي ! ولا تكن
غريبا مخيفا من جديد ، فهذا يجعلني أخشى

ألا تكون تغيرت حقيقة بعد هذا كله .

براون : (بغير اكتراث) وعندئذ ، تستطيع زوجتى أن تكون سعيدة ! ها ! (يضحك ، وتبدأ هى فى البكاء . يتمالك نفسه .. ويريت على رأسها .. ويقول برفق) وهو كذلك يا عزيزتى . المستر براون يرقد الآن آمنا فى الجحيم . فحاولى نسيانه .

مارجريت : (تتوقف عن البكاء .. ولكنها تظل مذعورة) ما كان ينبغى أن أقول لك أبدا .. ولكنى لم أتصور أبدا أنك ستأخذ الأمر مأخذا جادا . وأنا لم أفكر أبدا فى يبلى براون الا على أنه صديق ، ولا حتى ذلك فى الأيام الأخيرة ! فما هو الا عجوز غبى أحقق !

براون : ها — ها ! ألم أقل انه كان فى الجحيم ؟ انهم يسمونه ألوان العذاب ! (ثم مستعيدا سيطرته على نفسه .. وبانهاك) أرجو أن تتركينى وحدى الآن ، فعندى ما أعمله .

مارجريت : وهو كذلك يا عزيزى . سأذهب الى الغرفة الأخرى ، واذا احتجت الى أى شىء ، فما عليك

الا أن تنادينى . (تربت على وجهه .. وتقول

بنعومة) هل نسيت كل شيء ؟

براون : وهل ستكونين سعيدة ؟

مارجريت : نعم .

براون : اذن ، أعدك بأن أنساه ! (تقبله وتخرج ،

ويشخص بصره الى الأمام ، ثم يطرد أفكاره

وينكب على عمله .. وبسخرية) مبنانا الجميل

الجديد يناديك يا مستر ديون ! لأن تعمل !

ولسوف تتفنن فى اخفاء الشيطان القديم

« سالينوس » فى القبة ! وتتركه يرقص فوق

رؤوس واضعى القوانين ، وينظر اليهم شذرا

نظرة أبدية خالدة ! (ينكفى على عمله) .

ستار

الفصل الرابع

المنظر الأول

المنظر : هو نفسه الذى كان عليه المنظر الاول من الفصل الثالث غرفة الرسم ومكتب براون . فى شفق يوم من الايام بعد مضى حوالى شهر . الرسامان منكفئان على منضدتهمما يعملان . يرى براون جالسا الى مكتبه ، يعمل بحمية فى أحد الرسومات ، وقد ارتدى قناع ديون . أما قناع وليم براون فملقى الى جواره على المكتب . وبينما هو يعمل يضحك بحقد مشوب بالانتشاء واخيرا يلوح بقلمه ويقذف به الى الارض .

براون : انتهى ! باسم الاله القدير براون ، آمين ، آمين !
ها قد أصبح مبنى عجيبا رائعا ! أصبح التصميم صالحا لأن يكون ملاذا للحمقى المجرمين ! أما بالنسبة لهم ، والفضل يرجع الى فنى ، فيبدو أنه سيحظى بتقديرهم باعتباره متمشيا تماما مع الذوق العام ، ضخما بدينا للغاية ، وقورا مبعجلا كأنه رجل المجتمع ! وهذه الواجهة التى تعلوها الأبهة والجلال ستكشف لى وحدى عن نفسها

فاذا هي ضحكة اله الخمر بان ، تلك الضحكة
الساخرة المتهاففة التي يطلقها وأذناه مثقلتان بدوى
سقوط الحضارات السابقة والحضارات التي
سوف تجيء ، تسترقان السمع الى براغيثه وهي
تجيز القوانين التي فيها اذلاله واستعباده !
ها ، ها ، ها ! (يقفز من وراء مكتبته بتهريج .
ويرقص رقصات شبيهة برقصات الماعز وهو
يضحك بغبطة شهوانية) . يعيش مدير الشرطة
براون ! يعيش وكيل النيابة براون ! يعيش معاون
البلدية براون ! يعيش الناخب براون ! يعيش
المحافظ براون ! عضو الكونجرس براون !
الحاكم براون ! السناتور براون ! رئيس
الجمهورية براون ! (يعنى) أوه ، ما أكثر
الأشخاص الذين اجتمعوا في اله واحد ليؤلفوا
الاله الخير براون ؟ ها ها ها ها !
(يتوقف الرسامان فى الغرفة الأخرى عن
العمل وينصتان) .

الرسام الأصغر: سكران كالمعتوه !

الرسام الأكبر: على الأقل ديون كان عنده من الأدب ما يجعله
يبقى خارج المكتب ..

الرسام الأصغر: ما أظرف براون ، سرعان ما يسكره الشراب !
الرسام الأكبر: والأغلب أنه كان يجرع الشراب ناحية المدينة ،
طوال الوقت .

براون : (وقد عاد الى مكتبه ، يلهث ويضحك لنفسه)
جاء الوقت لتصبح كما كنت جديرا بالاحترام !
(ينتزع قناع ديون ويمد يده متناولا قناع وليم
براون .. ثم يتوقف ، وكل يد من يديه على
قناع ، شاخصا يبصره الى الرسم وهو في
غاية الاشمئزاز ، وقد بدا وجهه الحقيقي الآن
مريضا ، شاحبا ، ناثيء الوجنتين ، محمر العينين
عليه آثار الألم) ما أقبحنى ! وما أبشعنى !
وما أخط شأنى ! ماذا كان على الشيطان الذى
فى داخلى حتى يتهالك على أبخس الأشياء
وأرخصها ثمنا .. ثم ينال منى فيعاقبنى بازدرائى
لنفسى وكراهيتى للحياة ؟ لم لم أوت من القوة
ما أقضى به على نفسى .. ومن العمى ما أقعد به
قنوعا راضيا ؟ (رافعا بصره الى السماء ، وبمرارة
وضراعة) رب هبنى من القوة ما أقضى به على
هذا ! وعلى نفسى ! وعليه ! وعندئذ سوف أومن

بك ! (وبينما هو يتحدث يسمع صوت على السلم ، ويرى الرسامان مكين على عملهما . تدخل مارجريت موصدة وراءها الباب ، ومع هذا الصوت يقفز براون وسرعان ما يتعرف على صاحبه .. وبانزعاج) مارجريت !

(يقبض على كلا القناعين وينذهب الى الغرفة جهة اليمين) .

مارجريت : (تبدو عليها الصحة والسعادة ، وان اكتسى وجهها بسحة من الخوف والانهاك ، تخاطب الرسامين في سرور) . صباح الخير ؛ أوه ، لستما في حاجة الى ما يسبب لكما الازعاج ، فهو المستر براون الذى أود أن أراه ، وليس زوجى .

الرسام الأصغر : (بتردد) قفل على نفسه الباب .. ولكن ربما اذا طرقته ..

مارجريت : (تطرق .. وبشئ من الضجر) مستر براون ! (يدخل براون الى مكتبه ، مرتديا قناع وليم براون . يسرع الى الباب الآخر فيفتحه) .

براون : (بود وحنان) تفضلى يا مارجريت ! ادخلى ! هذا شئ بهيج ! اجلسى ! ماذا أستطيع أن أعمل من أجلك ؟

مارجريت : (مأخوذة .. وبشيء من الحدة) شيء بسيط .
براون : بالطبع شيء عن ديون . حسن ، فحبيبك العزيز
على ما يرام .. ولن يكون أفضل مما هو عليه
الآن !

مارجريت : (ببرود) انها وجهة نظر ، وأرى أنك ترهقه
بالعمل الى درجة الموت .

براون : أوه ، كلا ، ليس هو ، وانما براون هو الذى
سيموت ، لقد اتفقنا على هذا .

مارجريت : (ترمقه بنظرة غريبة) أنا جادة فيما أقول .

براون : وأنا كذلك ، جاد جدا ! ها ها ها !

مارجريت : (كاتمة حنقها) هذا ما جئت اليك من أجله .
فالواقع أن ديون اتى الأيام الأخيرة يتصرف
بمنتهى الغيرة ، ولا أشك فى أنه على وشك
الانهيار العصبى .

براون : اذن ، فليس هو الشراب بالتأكيد ، فهو لم
يتناول قطرة واحدة ، ولم يعد يحتاج اليه ! ها ها !
ولا أنا كذلك ، ولو أن الاشاعات بدأت تقول
اننى غارق فى الخمر طوال الوقت ! وذلك لأننى
بدأت أضحك ! ها ها ها ! انهم فى هذه البلدة

لا يؤمنون بالفرح الا عن طريق زجاجة الخمر !
يا لهم من ناس بسطاء مضحكين ! ها ها ها !
عندما تكونين الاله الكبير براون ، اه ،
يا مرجريت ؟ ها ها ها !

مارجريت : (تنهض .. وفي ضجر) أخاف أن ..

براون : لا تخافى ، يا عزيزتى ! لن أعود فأطارحك الغرام !
أقسم بشرفى ! فأنا أقرب الى القبر من ارتكاب
مثل هذه حماقة ! ولا بد أنه كان أمرا مضحكا
بالنسبة لك عندما جئت الى هنا فى المرة الماضية ..
لترى عجوزا كريها أحرق مثلى ، آه ! .. مضحكا
حتى لا تقدر على وصفه الألفاظ ! ها ها ها !
(ثم بحركة مفاجئة يلوح أمامها بالرسم)
أنظرى ! لقد فرغنا منه ! ديون فرغ منه ! وتمت
له الشهرة !

مارجريت : (بحدّة) بيلي ، أنا واثقة حقا بأنك سكران !
براون : لم يقبلنى أحد .. واذن فلکم جميعا أن تظنوا بى
الظنون ! ها ها ها !

مارجريت : (ببرود) اذا كان ديون فرغ من عمله ، فلماذا
لا أستطيع أن أراه ؟

براون

: (بجنون) ترين ديون ؟ ترين ديون ؟ حسن ، لم لا ترينه ؟ انه عصر المعجزات ، والشوارع مملؤى بمن سوا « عازر » . أقيمى الصلاة ! أقصد أنتظري لحظة ، لو تسمحين . (يختفى براون فى الغرفة جهة اليمين ، وبعد لحظة يعود فيظهر فى قناع ديون ، يفتح ذراعيه فتندفع مارجريت اليهما ويفيان فى قبلة عاطفية ، وأخيرا يجلس معها على الأريكة) .

مارجريت : اذن فقد فرغت منه .

براون : نعم ، وستأتى اللجنة لرؤيته الآن . عملت فيه كل التغييرات التى طلبها أولئك الحمقى !

مارجريت : (بود وحب) وهل يمكننا أن نبدأ فى شهر العسل الآخر فوراً والآن ؟

براون : فى أسبوع أو نحوه ، وأرجو .. بمجرد أن يسافر براون الى أوروبا .

مارجريت : قل لى .. ألا تراه يدمن الشراب ؟

براون : (يضحك كما كان يضحك براون) ها ها ! غارق الى أذنيه طوال الوقت ! غارق فى الحياة !

ولا قبل له بالاقلاع عن الخمر ! أنها تقضى على
أحشائه ؛

مارجريت : (منزعة) عزيزى ! أنا قلقة عليك ، فأنت تشبهه
فيما كان عليه من جنون .. عندما تضحك ! يجب
عليك أن تستريح !

براون : (كابحا جماح نفسه) سأستريح فى سلام ..
عندما يرحل !

مارجريت : (بنظرة حادة) ما هذا يا ديون ، هذه ليست
بذلتك ، انها تشبه تماما ..

براون : انها بذلته ! فقد أصبحنا وكأنا توأمان ؛ وانى
أرث ملابسه مقدما ! (ثم مهدئا من روعه حين يرى
مدى ما هى فيه من خوف) لا تقلقى يا عزيزتى ،
فما أنا الا مغرور تافه ؛ والآن فرغت من عملى .
ويبدو لى أننى غارق أنا الآخر فى الحياة ! (اللجئة
تدخل غرفة الرسم وهى مؤلفة من ثلاثة أشخاص
متوسطى العمر تبدو عليهم سمات الأهمية) .

مارجريت : (تفتصب ابتسامة) اذن ، فلا تدعها تقضى على
أحشائك أنت الآخر !

براون : لا خطر ! فأحشائى صنعت من حديد فى الجحيم!
ها ها ها !

مارجريت : (تقبله وبتلطف) تعال الى البيت ، يا عزيزى ..
أرجوك !

الرسام الأكبر: (يدق على الباب) اللجنة حضرت يا مستر براون.
براون : (مهرولا الى مارجريت) استقبلهم أنت ،
وناوليهم التصميم حتى أحضر براون . (يرفع
صوته) تفضلوا بالدخول أيها السادة . (يخرج
من جهة اليمين بينما تدخل اللجنة الى المكتب ،
وحين يرون مارجريت يقفون في اندهاش) .

مارجريت : (بارتباك) طاب مساؤكم . مستر براون سيكون
معكم حالا . (ينحنون ، فتحمل مارجريت
التصميم اليهم) هذا هو التصميم الذى وضعه
زوجى ، فرغ منه اليوم .

اعضاء اللجنة : آه ! (يتجمعون حول التصميم ليتفرجوا عليه ..
وبحماس) يا للكمال ! يا للروعة ! ليس فى
الامكان أبدع مما كان ! هو تماما ما اقترحناه !
مارجريت : (بفرح) اذن فهل قبلتموه ؟ المستر أتونى
سيكون فى غاية السرور !

أحد الأعضاء : المستر أتونى !

عضو آخر : وهل عاد الى العمل هنا من جديد ؟

عضو اللجنة الثالث: هل تقولين ان هذا التصميم وضعه زوجك ؟

مارجريت : (مهتاجة) نعم ! من اوله الى آخره ! كان يشتغل شغل الكلاب .. (مأخوذة) هل تريد أن تقول .. ان المستر براون لم يخبرك أبدا ؟ (يهزون رؤوسهم في دهشة فيها وقار الجماعة المهيمين) أوه ، يا له من نذل حقير ! انى أكرهه !

براون : (يظهر جهة اليمين .. ساخرا) تكرهيننى ، يا مارجريت ؟ تكرهين براون ؟ ما أقسى ما تقولين . (بلهجة خطائية) أيها السادة ؛ لقد أخفيت عنكم سرا لكى تكونوا أتم أنفسكم أكثر الناس تأثرا به حين أكشف لكم عنه . ألا وهو أن هذا التصميم بأكمله من وحي عبقرية المستر ديون أتونى . وأنا لم يكن لى فيه دخل على الاطلاق .

مارجريت : (نادمة) أوه ، يلى ! أنا آسفة ! اصفح عنى !

براون : (متجاهلا اياها ، يتناول الرسم من اللجنة ويأخذ فى خلع دبايسه من على اللوحة .. وبسخرية) . أرى فى وجوهكم أنكم قبلتم هذا . وأتم مغتبطون ، أليس كذلك ؟ ولم لا ، يا سادتى

الأعضاء ؟ أنظروا اليه ، وانظروا الى أنفسكم !
ها ها ها ! انه سيخلدكم يا رجالى الكرام !
وستكونون كالموت الذى يستهدف السخرية كما
فى حالة « جوميلر » ! (ثم فجأة يغير لهجته
تغيرا كاملا .. ويقول بغضب) أيها الحمقى
الملعونون ! ألا ترون أن هذه اهانة .. اهانة
فظيعة كافترة ! يلقى بها فى وجه نجاحنا هذا
الساقط المنكود الذى يقال له أتونى .. اهانة
لكم ، ولى ، ولك يا مارجريت .. وللاله العلى
القدير ! (وفى حمى الغضب) واذا كنتم من
الضعف والجبن حتى تسكتوا على هذا ، فأنا لن
أسكت ! (يمزق الرسم الى أربعة قطع ، فتقف
اللجنة مذهولة ، وتسرع مارجريت الى الأمام) .

مارجريت : (نائحة) أيها الجبان ! ديون ! ديون ! (تلتقط
الرسم وتضمه الى صدرها) .

براون : (يقفز قفزة مبالغتها شبيهة بقفزة الماعز) سأقول له
أنك هنا (يختفى ، ولكنه سرعان ما يعود ويظهر
مرتديا قناع ديون وفارضا على نفسه احكاما
رهيبا لكى يتحاشى الرقص والضحك . يتكلم

بدمائة) كل شيء على ما يرام .. كله من أجل
ما هو أفضل .. ولا يصح أن تجزعى ! قليلا من
الصمغ يا مارجريت ! قليلا من الصمغ أيها
السادة ! وكل شيء يصبح على ما يرام ! فالحياة
ليست كاملة يا اخواني ! والناس لهم أخطاؤهم
يا أختاه ! ولكن قطرات قليلة من الغراء قد تفعل
الشيء الكثير ! وبمئات يسيرة من الصمغ تتنازل
عن أشياء هنا وهناك .. وحتى القلوب الكسيرة
ترمم لتكون في خدمة الولاء ! (يتحرك متجها
نحو الباب فيحدقون فيه جميعا بحيرة صامته ،
يضع أصابعه على شفتيه) هس ! اليكم كلمة
السر التي يقولها لنا أبي وقت النوم ! يولد
الانسان كسيرا . ويعيش على الترميم . ونعمة
الله هي الغراء ! (وبحركة سريعة واثبة يفتح
الباب ويمرق من خلاله ويفلقه وراءه في صمت
وهو يحاول كتمان الضحك ، ثم يقفز بخفة الى
جوار الرسامين المأخوذين .. ويقول في همس)
المستر براون قد مات ، وسيجدونه في الغرفة
الصغيرة ! (وبوثبات خفيفة يتوارى عن الأنظار ،

- ورأسه ملقى الى الوراء ، ويضحك ضحكات مكتومة وهو يترنج . ويمكن سماع صوت قدميه وهو ينزل درجات السلم واثبا خمس درجات فى كل وثبة ، ثم تسود فترة صمت حيث الأشخاص فى الغرفتين مشدوهين ويكون الرسام الأصغر هو أول من يفيق) .

الرسام الأصفر: (مندفعا الى الغرفة الأخرى ، صائحا بنبرات مرعبة) المستر براون قد مات !

أعضاء اللجنة : هو الذى قتله ! (يهرعون جميعا الى الغرفة الصغيرة جهة اليمين ، وتظل مارجريت مذهولة من الرعب . يمددون بعد لحظة حاملين قناع وليم براون ، اثنان من كل جانب ، وكأنهم يحملون جسدا من رجليه وكتفيه . ثم يمددونه على الأريكة صامتين ويقفون خافضين اليه البصر) .

عضو اللجنة الأول : (فى خشوع خائف) لا أصدق أنه مات .

عضو اللجنة الثانى : (فى نفس اللهجة) أكاد أسمعه يتكلم . (كأنه مسوق الى توضيح صوته ، والى توجيه حديث هام الى القناع) مستر براون .. (ثم يتوقف قاطعا حديثه) .

عضو اللجنة الثالث: (يتراجع الى الوراء) لا ، فقد مات ، حقا !
(وفجأة يعلوه الخوف والغضب فيقول في عصبية)
يجب أن نسارع لنطارده أنتوني في كافة أرجاء
الأرض !

مارجريت : (بصرخة قلب كبير) ديون بريء !
الرسام الأصفر: سأطلب الشرطة بالتليفون ، يا سيدى ! (يهرع
الى التليفون) .

ستار

المنظر الثاني

المنظر : هو نفسه الذى فى المنظر الثانى من الفصل الثالث ٠٠٠ مكتبة بيت وليم براون يرى قناع ديون قائما على المنضدة تحت المصباح ، شاخصا ببصره الى الامام . كما يرى براون جاثيا على ركبتيه بجوار المنضدة . ناظرا امامه وقد بدأ عاريا تماما الا من قطعة قماش بيضاء يستر بها عورته ، اما الملابس التى مزقها فى سورة غضبه فترى مبعثرة على الأرض . وقد استنقام بجمع كيانه واتجه بعينيه وذراعيه الى السماء وأخذت عضلاته تتابع شفثيه وهما تصليان فى صمت صلاة خشية وضراعة . وفى الآخر يبدو وكأن صوتا يصدر من داخل ذاته .

براون : رحماك يا منقذ الانسان ، يا رحيم ! انى أدعوك من أعماقى ! رحماك بالانسان المسكين ، الذى خلقته من تراب ، تراب الأرض غير المقدسة ؛ رحماك بالاله الكبير براون الذى صنعتته من هيئة الطين ! رحماك يا منقذ الانسان ! (يبدو وكأنه فى انتظار الجواب .. ثم يقفز واقما على قدميه مادا احدى يديه ليلمس القناع كالطفل الخائف وهو يصل الى يد مربيته .. ثم مباشرة وبلهجة اليأس الساخر) بخ ! آسف يا أطفالى

الصغار أن تكون مملكتكم خاوية على عروشها،
 فالاله سئنا ورحل عنا الى كوكب آخر بعيد
 فتان ، الحياة على ظهره لهيب راقص ! وبدونه
 أصبح لزاما علينا أن نموت . (ثم مخاطبا القناع
 بصوت أجش) جمعا ، يا صديقى ! وأنت أيضا !
 خل مارجریت تعانى ! واخل العالم كله يعانى كما
 أعانى أنا ! (يسمع صوت باب يدفع بعنف حتى
 يفتح ، وديب أقدام تلبس نعال ، واذا بسبيل
 تندفع الى الغرفة لابسة قناعها . تتوقف فجأة
 لدى رؤيتها براون والقناع ثم تجيل النظر بينهما
 فى غموض وحيرة برهة من الوقت . ترى فى ثوب
 يابانى فضفاض لونه أسود ، منتعلة خفين فوق
 قدميها العاريتين ، وشعرها الأصفر متهدل على
 كتفيها وقد ازدادت بدانة واكنسبت مزيدا من
 الهدوء الموضوعى العميق كهدهء الصنم) .

براون : (ينظر اليها محذقا وكأنه المفتون .. ويتكلم
 بطمأنينة كبيرة وكأن حضورها قد أراحه) .

سبيل ! كنت ذاهبا اليك ! كيف عرفت ؟

سبيل : (تنتزع قناعها وتجيل النظر بين براون وقناع

ديون ، والآن تقول بقدر كبير من الفهم) واذن
فهذا هو السبب الذى من أجله لم تعد تأتى الى
أبدا ! أنت ديون براون !

براون : (بمرارة) أنا رفات وليم براون ! (يشير الى
قناع ديون) أنا قاتله وقتيله !

سييل : (بضحكة غليظة واشفاق) أوه ، لم لا تستطيعون
أبدا أن تتعلموا أن تكونوا وشأنكم وأن تتركونى
وشأنى !

براون : (بسذاجة وصيانية) أنا بيلى .

سييل : (بسرعة وبلهفة أمومية) اذن أسرع يا بيلى ،
أسرع ! انهم يقتفون أثر شخص ما ! وقد حلوا
بدارى يفتشون عن قاتل ديون ! وهم لا بد
واجدون الضحية ! اذ جعلوا يهدئون من روعهم ،
ويطردون شياطينهم والا لن يغمض لهم جفن
أبدا ! وكان عليهم أن يخلصوا أنفسهم بالقبض
على أحد المذنبين ! أو كان عليهم أن يقتلوا أحدا
الآن ، حتى تكتب لهم الحياة ! أنت عريان !
ولا بد أنك شيطان ! أسرع يا بيلى ، أسرع !
سوف يأتون الى هنا ! وأنا أسرع الى هنا

لأحذر .. شخصا ما ! اذن فسارع بالهروب ان
كنت تريد الحياة !

براون : (كطفل مستاء) أنا تعبان جدا ، ولا أريد أن
أسرع .

سييل : (بهدوء أمومي) وهو كذلك ، فلست في حاجة
الى الاسراع يا بيلي ، فلا تستأ (وبينما يأتى
صوت لفظ من الخارج) على أى حال ، فات
الأوان ، فانى أسمعهم الآن فى الحديقة .

براون : (يتصنت ثم يمد يده ويتناول قناع ديون ،
ويقول وكأنه اكنسب قوة) شكرا لهذا الجميل
الأخير يا ديون ! استمع ! ها هم الآخذون بشارك!
يقفون على قبرك فى الحديقة ! هاهاها ! (يلبس
قناعه ويقفز الى الجهة اليسرى ويأتى بإشارة كأنه
يفتح نافذة على مصراعيها ثم يقول بسخرية فيها
سرور) أهلا بكم ، أيها العابدون البكم ! أنا
الهكم الكبير براون ! نصحت بأن أهرب منكم
ولكن شئت قدرتى أن أهرب راقصا فوق
نفوسكم الذليلة الخاضعة ! (تسمع صيحات من
الحديقة ، ووراءها وإبل من الطلقات النارية ،

• براون يتراجع مترنحا ويسقط على الأرض بجوار الأريكة وقد أصابه جرح مميت) .

سيميل : (تسرع الى جانبه ، فترفعه على الأريكة وتنتزع

قناع ديون) لا تستطيع أن تأخذه معك الى

الفراش ، عليك أن تذهب وحدك لتنام . (تعيد

قناع ديون الى مكانه تحت المصباح ، وتلبس

قناعها فور سماع ايصاد الأبواب وتكسير الزجاج

ووطء الأقدام . تندفع الى الغرفة « فرقة من

الشرطة » استلوا مسدساتهم وقادهم قائد أشيب

مقطب الوجه ، تندفع وراءهم مارجریت وهي

لا تزال في ذهولها تضم قطع الرسم الى صدرها) .

القائد : (مشيرا الى قناع ديون .. وقائلا بلهجة الظافر)

قبضنا عليه ميتا !

مارجریت : (تنهاوى على ركبتيها ، وتأخذ القناع فتقبله ..

وتقول بقلب كسير) ديون ! ديون !

(تظل تبكى بحزن صامت عميق ، ووجهها

مخفف فى ذراعيها ، والقناع فى يديها فوق

رأسها المنحنى)

القائد : (ناظرا الى سيبيل وبراون .. وباندهاش) هيبى !

انظري الى هذا ! ماذا تفعلين هنا ؟ ومن يكون هذا ؟

سييل : كان ينبغي أن تعرف ، فأنت الذى قتلته .
القائد : (مدافعا عن نفسه بحدة .. وفى صوت أجش)
كان أتونى ! رأيت وجهه الغرير ! وهذا الطريح ،
أراهن أنه شريك فى الجريمة ! وقد أدى دوره !
من هو ؟ واحد من أصدقائك المنحلين ! ما اسمه ؟
خبرنى والا ألقيت عليك القبض !

سييل : يلى .

القائد : يلى ماذا ؟

سييل : لا أعرف ، انه يموت . (ثم فجأة) اتركنى معه
على انفراد وربما حملته على الاعتراف .

القائد : هذا أفضل ! وأريد أن أحصل على تقرير واضح ،
سأعطيك مئة دقيقة . (يشير الى رجال
الشرطة الذين يتبعونه خارجين من الجهة اليسرى .
تخلع سييل قناعها وتجلس عند رأس براون ،
الذى يبذل جهده ليرفع نفسه اليها فتأخذ بيده
وتطرح ثوبها على جسده العارى وتشد رأسه
الى كتفها) .

- براون : (يطمئن إليها .. وبلهجة الشاكر) الأرض دافئة .
- سبيل : (بدمثة .. وهى شاخصة ببصرها الى الأمام كالصنم) هس ! اذهب لتنام يا بيلى .
- براون : حاضر ، يا أماه . (ثم موضعا) كان الظلام دامسا فلم أعرف الى أين كنت أسير ، وكلهم اقتنوا أثرى .
- سبيل : أعرف . أنك متعب .
- براون : وعندما أستيقظ .. ؟
- سبيل : ستشرق الشمس ثانية .
- براون : لتحاسب الموتى والأحياء ! (خائفا مذعورا) لا أريد العدل وانما أريد الحب .
- سبيل : ولا يوجد هناك غير الحب .
- براون : شكرا لك يا أماه . (ثم خائرا) بدأت أشعر بالنوم ، ماذا كانت الصلاة التى لقتنى اياها .. أبانا .. ؟
- سبيل : (بغبطة هادئة) أبانا الذى !
- براون : (متلقيا صوتها .. وبغبطة) الذى ! الذى ! (وفجأة .. بوجد وانجذاب) انى أعرفه ! فقد وجدته ! وهأنذا أسمعه يقول ! « طوبى لأولئك

الذين يكون ، لأنهم سوف يضحكون ! » .
والذى عرف البكاء هو وحده الذى يعرف
الضحك ! وضحك السماء هو الذى يروى جوب
الأرض بوابل من الدموع . ومن ألم ولادة
الأرض يخرج ضحك الانسان ويعود مرة ثانية
يرتع ويلعب ، وهى مرات لا تحصى ولا تعد
وكأنها ألسنة من لهب تتراقص عند ركبتى الاله!
(يموت) .

سبيل : (تقوم وتمدد جسده على الأريكة ، ثم تميل
عليه وتقبله برفق ، تعتدل وتلقى ببصرها فى
الفضاء .. وبألم عميق) أبدا يعود الربيع حاملا
فى باطنه الحياة ! أبدا يعود ! أبدا ، أبدا ، يعود
الى الأبد ! يعود الربيع ! وتعود الحياة ! ويعود
الصيف والخريف والموت والسلام ! (وبجزن
مؤجع) ولكن أبدا ، أبدا يعود الحب ، والحمل ،
والولادة والألم .. ويعود الربيع حاملا
ما لا يحتمل من قدح الحياة ! (ثم بسرور أليم)
يعود حاملا تاج الحياة المتوهج المجيد ! (تقف

وكانها صنم الأرض ، تجيل بصرها في كافة أرجاء
العالم) .

مارجريت : (ترفع رأسها في خشوع الى القناع .. وبلطف

الظافر المشوب بالحزن) حبيبي ! وزوجي !

وولدي ! (تقبل القناع) الوداع . وشكرا لما

حققت لي من سعادة ! وأنت لم تمت ، يا حبيبي !

لا ولن تموت أبدا ، حتى يموت قلبي ! ستحيا

الى الأبد ! وستنام تحت طيات قلبي ! وسأشعر

بك تتقلب في نومك وأنت راقد الى الأبد تحت

طيات قلبي ! (تقبل القناع مرة أخرى ، وتسود

فترة صمت) .

القائد : (يأتي ولا يكاد يرى الا من جهة اليسار ، يرسل

كلامه الى الامام دون أن ينظر اليهم .. وبفظاظة)

اذن ، ما هو اسمه ؟

سميل : اسمه الانسان !

القائد : (يخرج من جيبه مذكرة كالحة اللون ، وقلما من

الرصاص طوله بوصة) وكيف تتهجين حروفه ؟

ستار

خاتمة

المنظر

بعد مضي أربع سنوات ، نفس المكان على رصيف
الميناء كما في المقدمة ، في ليلة مقمرة أخرى من ليالي شهر
يونية . يسمع صوت الأمواج وأنغام الموسيقى الراقصة التي
تتناهى من بعيد .

تظهر مارجریت وأبناؤها الثلاثة من ناحية اليمين ، الأكبر
الآن في الثامنة عشرة من عمره . يبدو جميعا طوالا رشاقا
أشداء ولهم طلعة بهية ، وقد التفوا حول قوام أمهم النحيل
كأنهم عمالقة يحمونها ويخلعون عليها صورة غريبة للأنوثة التي
تحس الوحدة وتستشعر الفراق . ترى مرتدية قناع الام
العطوف التي يعلوها الكبرياء ، وقد بان عليها الكبر الذي
يكسبها الوقار ، وظهر في شعرها الشيب الذي يضيف عليها
الجمال . وهناك في صمتها وسلوكها احساس المرأة الحزينة
الراضية التي تعرف أن غايتها في الحياة قد تحققت أحسن
التحقيق ، ولكنها في الوقت نفسه تحس بقليل من الفراغ وعدم
الارتياح فيما يتعلق بغائية هذه الحياة . تلف نفسها في دثار
رمادى اللون .

الأكبر : ألا تبدو « يبي » جميلة الليلة يا أمي ؟

الأوسط : ألا ترين أن « ميل » أحسن الجميع في الرقص

يا أمي ؟

الاصفر : أوه ، « اليس » أحسن من الاثنين ، أليست .
كذلك يا أمى ؟

مارجريت : (بضحكة بسيطة شاحبة) كل واحد منكم على
حق . (ثم بنهاية غريبة للكلام) الى اللقاء ،
يا أولادى .

الأولاد : (مندهشين) الى اللقاء .

مارجريت : عندما عرض على أوكم الزواج ، كان ذلك هنا ،
وفى ليلة تكاد تشبه هذه الليلة . ألم تعرفوا ذلك
أبدا ؟

الأولاد : (بارتباك) . نعم لم لا نعرف .

مارجريت : (بشوق وحنين) ولكن الليالى الآن أبرد بكثير
ما كانت عليه من قبل . تصوروا أننى ذهبت
أستحم فى ضوء القمر فى شهر يونية عندما كنت
فتاة . وكم كانت ليلة جميلة دافئة فى تلك الأيام .
انى أتذكر يا أولادى ليالى شهر يونية عندما
كنت حاملا بكم .. (تسود فترة صمت ، ويشعر
الأولاد بالقلق والملال ، فتقول لهم برجاء)
عدونى وعدا صادقاً بأنكم لن تنسوا والدكم
أبدا !

- الأولاد : (على مضض) أجل ، يا أماه .
- مارجريت : (تتكلف لهجة المزاح) ولكن يجب عليكم ألا تضيعوا هذه الليلة من ليالى شهر يونية مع امرأة عجوز مثلى ! اذهبوا وارقصوا . (وبينما هم يترددون) اذهبوا ، فأنا فى الحقيقة أريد أن أكون وحدى .. مع ليالى شهر يونية .
- الأولاد : (غير قادرين على كتمان تلهفهم) حاضر ، يا أماه . (يذهبون) .

مارجريت : (تزيح قناعها ببطء ، وتضعه على الأريكة ، ثم ترفع بصرها شاخصة الى القمر ، وفى صوت عذب رخييم) مضى وقت طويل ! وبقيت أنا كما أنا ، مارجريت ! فحياتنا وحدها هى التى تكبر وتشيخ ، أما « نحن » فنبقى حيث القرون لا تحسب الا ثوانى ، وبعد ما نحيا ألف حياة وحياة نفتح عيوننا لنبدأ فى الحياة من جديد .. (تنظر فيما حولها بابتسامة فيها تأمل واستغراق) والقمر يرقد مستريحا فى البحر ! وأحب أن أرى القمر يرقد آمنًا فى البحر ! أود أن يترك ديون السماء وينزل الى ! أريده أن ينام فى موجات قلبى !

(تمد يدها برفق تحت دثارها حتى تصل الى
صدرها فتنتزع قناع ديون وكأنها تنتزعه من
قلبها ؛ تضعه أمام وجهها وكأنها في خاتمة المطاف)
حبيبي ! وزوجي ! وولدي ! لا لن تموت أبدا
حتى يموت قلبي ! ستحيا الى الأبد ، فأنت نائم
تحت طيات قلبي ! وأشعر بك تتقلب في نومك
وأنت راقد الى الأبد ، تحت طيات قلبي . (تضع
على شفثيه قبلة أبدية لا تنتهي) .

ستار

روائع المسرح العالمي

صدر منها حتى الآن ٤٣ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ -	التحققات الثلاث	أنطون تشيخوف
٢ -	أعمدة المجتمع	هنريك إبسن
٣ -	سيرانو دي برجرانك	ادمون رومستان
٤ -	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥ -	بشيلوبى	سموست موم
٦ -	الضريان	هنرى بك
٧ -	الليكترا	جان جيوردو
٨ -	توركاريه	إرنست لوساج
٩ -	الدائرة	سموست موم
١٠ -	شاترتون	الفرد ديقينى
١١ -	الأم	كارل تشابك
١٢ -	اللعبة الغادرة	يون جالزوردى
١٣ -	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤ -	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندلو
١٥ -	عربة اسمها الرغبة	تيسى ولياهز
١٦ -	عزيزى بروتس	ج. م. بارى
١٧ -	رجل الله	جابريل مارسيل
١٨ -	هيدا جابلر	هنريك إبسن
١٩ -	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠ -	كتوك	جول رومان
٢١ -	جنون والطاوس	شين أوكامى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢ -	دون جوان	موليير
٢٣ -	بيت برناردا البيا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤ -	القرود الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥ -	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦ -	الاستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧ -	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨ -	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩ -	اهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠ -	دائرة الطباشير الفوقازية	برتولت برشت
٣١ -	منزل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢ -	القينارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣ -	أفكار صيبانية	نويل كوارد
٣٤ -	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنرو
٣٥ -	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك إبسن
٣٦ -	لا وقت للفاكاهة	س - ن - بيرمان
٣٧ -	سيجفريد	جان چيرودو
٣٨ -	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩ -	رغبة تحت شجر الدرदार	يوجين أونيل
٤٠ -	حورية البحر	هنريك إبسن
٤١ -	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢ -	ايولف الصغير	هنريك إبسن

ملتزم التوزيع فى الداخلى والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة

ويطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبة المشنى ببغداد ودار القلم للملايين ببيروت